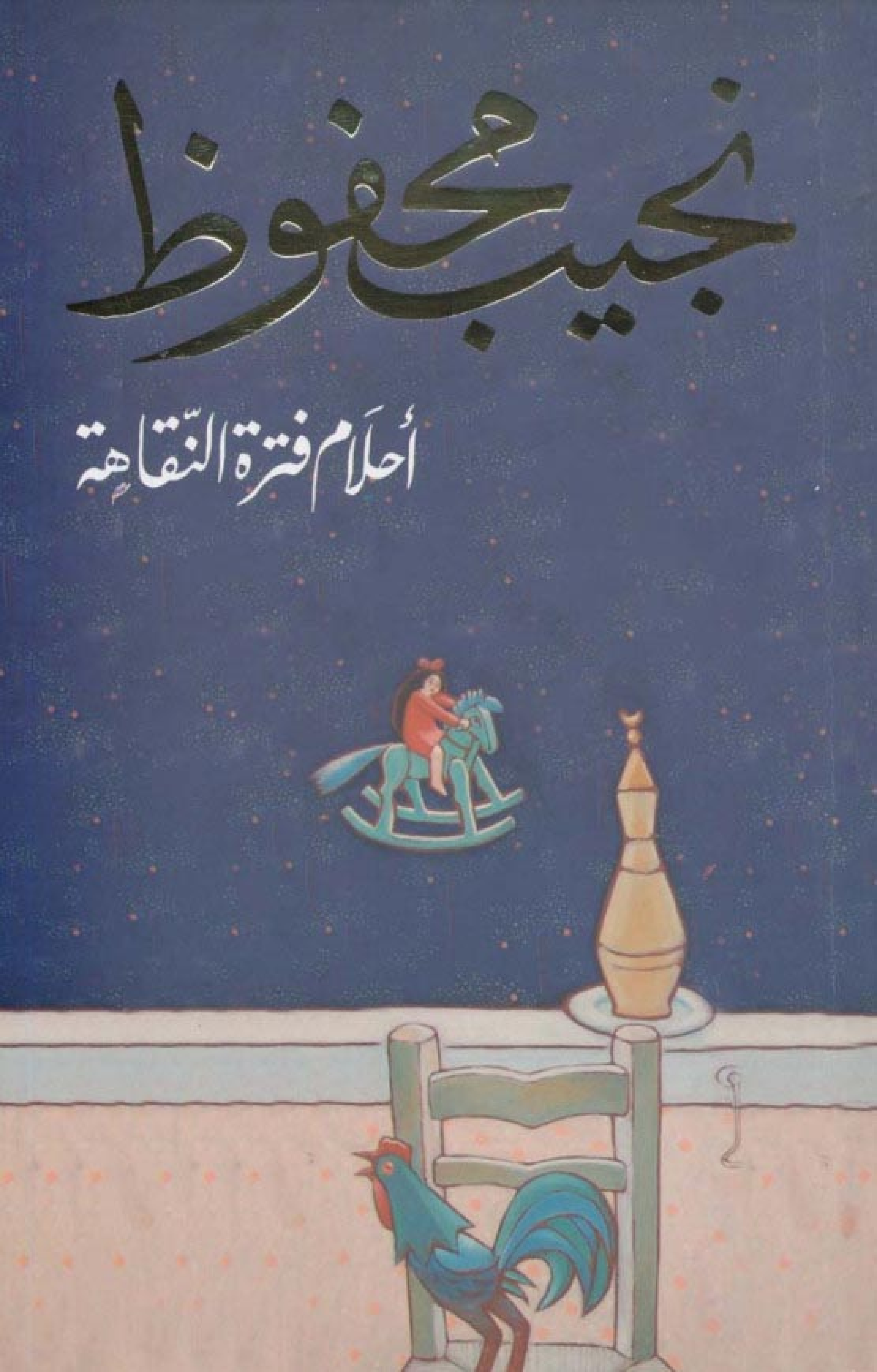

نجيب محفوظ
أحلام فترة النقاهة

نجيب محفوظ

أحلام فترة النقاهة

دار الشروق

أحلام فترة النقاهة

أحلام فترة النقاهة

نجيب محفوظ

إخراج ولوحات الغلاف : حلمي التوني

الطبعة الأولى ٢٠٠٤

الطبعة السادسة ٢٠١٥

تصنيف الكتاب: أدب

© **دار الشروق**

٨ شارع سيبويه المصري

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

www.shorouk.com

رقم الإيداع ٢٤٦٧/ ٢٠٠٥

ISBN 978-977-09-1201-0

حلم ١

أسوق دراجتى من ناحية إلى أخرى مدفوعا بالجوع، باحثا عن مطعم مناسب لذوى الدخل المحدود ودائما أجدها مغلقة الأبواب، وحانت منى التفاتة إلى ساعة الميدان، فرأيت أسفلها صديقى، فدعانى بإشارة من يده، فملت بدراجتى نحوه، وإذا به على علم بحالى فاقترح علىَّ أن أترك دراجتى معه ليسهل علىَّ البحث، فنفذت اقتراحه، وواصلت البحث وجوعى يشتد وصادفنى فى طريقى مطعم العائلات، فبدافع من الجوع واليأس اتجهت نحوه على الرغم من علمى بارتفاع أسعاره، ورآنى صاحبه وهو يقف فى مدخله أمام ستارة مسدلة، فما كان منه إلا أن أزاح الستارة فبدت خرابة ملأى بالنفايات فى وضع البهو الفخم المعد للطعام فقلت بانزعاج: ماذا جرى؟

فقال الرجل: أسرع إلى كبابجى الشباب لعلك تدركه قبل أن يشطّب، ولم أضيع وقتا فرجعت إلى ساعة الميدان ولكننى لم أجد الدراجة والصديق.

حلم ٢

دخلنا الشقة. . الفتاة فى المقدمة وأنا فى أثرها والبواب يتبعنا حاملا الحقيبة. الفتاة على صلة بى مؤكدة ولكنها غير محددة، تركنا ترتيب

الأشياء ودلفت إلى الشرفة المطلة على البحر سابحا فى آفاقه غير المحدودة منتعشا بهوائه الرطيب منتشيا بهديره المتقطع، وإذا بصرخة تنطلق من الداخل فهرعت نحوها فرأيت الفتاة منكمشة مذعورة والنار تشتعل فى أعلى الباب. وقبل أن أفيق من الصدمة دخل رجل صلب الملامح كأنما قدت من صخر وبإشارة من يده انطفأت النار وتحول ذاهبا وهو يقول: ربما انقطعت المياه بعض الوقت، وغمرنى الارتياح فلم أبال بشىء، غادرت الحجرة قاصدا السوبر ماركت لأبتاع بعض التموين المناسب. ولما رجعت وجدت باب الشقة مفتوحا والبواب واقفا فدخلت أنا الحجرة قلقا فوجدتها عارية إلا من بقجة منتفخة بالملابس ملقاة على الأرض وذراع بيجامتى يتدلى من فتحة رابطتها ولا أثر للفتاة فسألت: ماذا جرى؟

فأجابنى البواب: حضرتك أخطأت الطريق وهذه ليست شقتك.

فأشرت إلى ذراع البيجامة وقلت: هذه بيجامتى.

فقال الرجل بهدوء: يوجد من نوعها آلاف فى السوق.

وملت إلى الاعتقاد بالخطأ متذكرا أنه توجد ثلاث عمارات متشابهة فى صف واحد وهبطت السلم بسرعة وفى الطريق رأيت الفتاة تسير فى طرفه المفضى إلى ميدان مكتظ بالسيارات والبشر، فجريت نحوها حتى أدركها قبل أن تذوب فى الزحام.

حلم ٣

هذا سطح سفينة يتوسطه عامود مقيد به رجل يلتف حوله حبل من أعلى صدره حتى أسفل ساقيه وهو يحرك رأسه بعنف يمنة ويسرة ويهتف من أعماقه الجريحة: متى ينتهى هذا العذاب؟

وكان ثلاثتنا ينظرون إليه بإشفاق ويتبادلون النظر فى ذهول، وتساءل صوت: من فعل بك ذلك؟

فأجاب الرجل المعذب ورأسه لا يكف عن الحركة: أنا الفاعل

ـ لماذا؟

ـ هو العقاب الذى أستحقه.

ـ عن أى ذنب؟

فصاح بغضب: الجهل.

فقلت له: عهدنا بك ذو حلم وخبرة. جهلنا أن الغضب استعداد فى كل فرد.

وارتفع صوته وهو يقول: وجهلت أن أى إنسان لا يمكن أن يخلو من كرامة مهما يهن شأنه.

وغلبنا الحزن والصمت.

حلم ٤

بهو مترامى الأركان، متعدد الأبواب، خال من كل شىء، فوقف ثلاثتنا فى ركن مكنون، صاحباى يرفلان فى كامل حليتهما حتى رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربى ودون شعور بأى حرج لشدة الألفة التى تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت رجلا لا أدرى من أين جاء فى ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون على الحفلات تلففت فى جلبابى وقلت لصاحبى: أخاف أن يقام حفل!

فقالا بالتتابع:

ـ لا أظن .

ـ لا أهمية لذلك .

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين مماثلين للأول قد انضما إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأنى وجدت وراءه سداً من جدار البهو ، فكررت المحاولة مع الأبواب جميعاً وخاب مسعاى كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبىّ، واندسست بينهما كأنما أستتر بهما .

وطمأننى بعض الشىء أن الرجال الثلاثة لم يعيرونا أى التفات .

وتتابعت الحركات وانهمر سيل من المدعوين من كافة النواحى .

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين أبصارهم فى ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم ، وبدا فجأة شخص جليل فى هيئة الزعامة فتعالت قعقعات الهتاف ، وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه فى الوقت نفسه من السير نحو الباب الذى بدا أنه يقصده وقلت لصاحبى : سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه .

وتقدم الزعيم وسط هتاف متصاعد وتحذير مستمر حتى فتح الباب ودخل مختفيا عن الأنظار .

حلم ٥

أسير على غير هدى وبلا هدف ولكن صادفتنى مفاجأة لم تخطر لى فى خاطرى فصرت كلما وضعت قدمى فى شارع انقلب الشارع سيركا .

اختفت جدرانه وأبنيته وسياراته والمارة وحل محل ذلك قبة هائلة بمقاعدها المتدرجة وحبالها الممدودة والمدلاة وأراجيحها وأقفاص حيواناتها والممثلون والمبتكرون والرياضيون حتى البلياتشو، وشد ما دهشت وسررت وكدت أطير من الفرح، ولكن بالانتقال من شارع إلى شارع وبتكرار المعجزة مضى السرور يفتر والضجر يزحف حتى ضقت بالمشى والرؤية وتاقت نفسى للرجوع إلى مسكنى، ولكم فرحت حين لاح لى وجه الدنيا وآمنت بمجىء الفرح. وفتحت الباب فإذا بالبلياتشو يستقبلنى مقهقها.

حلم ٦

رن جرس التليفون وقال المتكلم: الشيخ محرم أستاذك يتكلم.

فقلت بأدب وإجلال: أهلا أستاذى وسهلا..

ـ إنى قادم لزيارتك.

ـ على الرحب والسعة.

لم تمسنى أية دهشة على الرغم من أننى شاركت فى تشييع جنازته منذ حوالى ستين عاما وتتابعت علىَّ ذكريات لا تنسى عن أستاذى القديم فى اللغة والدين وما عرف عنه من وسامة الوجه وأناقة الملبس إضافة إلى شدته المتناهية فى معاملة التلاميذ وجاء الشيخ بجبته وقفطانه الزاهيين وعمته المقلوظة وقال دون مقدمات:

هناك عايشت العديد من الرواة والعلماء ومن حوارى معهم عرفت أن بعض الدروس التى كنت ألقيها عليكم يحتاج إلى تصحيحات فدونت التصحيحات فى الورقة وجئتك بها.

قال ذلك ثم وضع لفافة من الورق على الخوان وذهب .

حلم ٧

يا له من ميدان مترامى الاتساع مكتظ بالخلق والسيارات، وقفت على طوار المحطة أنتظر مقدم الترام رقم ٣ والوقت قارب المغيب، أريد العودة إلى بيتى على الرغم من أنه لا ينتظرنى أحد، ويهبط المساء وتغلب الظلام على أضواء المصابيح المتباعدة وشعرت بوحشة وتساءلت عن آخر الترام رقم ٣، جميع الترامات جاءت وحملت من المنتظرين من حملت ولكن لا أدرى ماذا حصل للترام ٣. وخفت حركة الميدان وقل مرور السابلة حتى كدت أتركه وحيدا فى المحطة فى ميدان خال أنتظر تراما لا يجىء وسمعت صوتا خفيضا فنظرت فرأيت على مبعدة يسيرة فتاة ينطق مظهرها بأنها من بنات الليل فازداد شعورى بالوحشة واليأس وسألتنى: أليست محطة الترام رقم ٣؟

فأجبت بالإيجاب وفكرت فى مغادرة المحطة وإذا بالترام رقم ٣ يقترب فى هدوء ولا أحد فيه سوى السائق وقاطع التذاكر، وشىء من داخلى دعانى إلى عدم الركوب فوليت الترام ظهرى ولبثت على حالى حتى غادر الترام المحطة. ونظرت فرأيت الفتاة بموقفها، ولما شعرت بعينى ابتسمت وسارت نحو أقرب منعطف فتبعتها على الأثر . .

حلم ٨

عندما أقبلت على مسكنى وجدت الباب مفتوحا على ضلفتيه على غير عادة، وجاءتنى من الداخل ضوضاء وأصداء كلام.

دق قلبى متوقعا شرا، ورأيت من أحبابى ابتسامات مشفقة، وسرعان ما عرفت كل شيء، خلت الشقة من الأثاث الذى كوم فى ناحية داخل المكان. . عمال من متفاوتى الأعمار، منهم من دهن الجدران ومنهم من يعجن المونة ومنهم من يحمل المياه. . وهكذا نفذت المكيدة فى أثناء غيابى وذهبت توسلاتى فى الهواء.

وهل أطيق هذا الانقلاب وأنا على تلك الحال من الإرهاق؟

وصحت بالعمال من أذن لكم بذلك؟ ولكنهم استمروا فى عملهم دون أن يعيرونى أى اهتمام، وقهرنى الغضب فغادرت الشقة وأنا أشعر بأننى لن أرجع إليها مدى عمرى وعند مدخل العمارة رأيت أمى مقبلة بعد رحيلها الطويل وبدت مستاءة وغاضبة وقالت لى: أنت السبب فيما حصل!

فثار غضبى وصحت: بل أنتِ السبب فيما حصل وما سوف يحصل. .

وسرعان ما اختفت وأمضت فى الهرب.

حلم ٩

على أريكة فى حديقة المنزل الصغيرة جلست أختى تتأمل ضفدعا يسبح فى القناة التى تروى الحديقة، وانتشيت بالنسيم الرقيق وعناقيد العنب المدلاة من التكعيبة.

وسألت أختى: ماذا تنتظرين؟

وقبل أن تجيبنى قلت: مِن الأفضل أن نجلس فى الحجرة لنسمع

الفونوغراف وتبادلنا نظرة اختيار ثم انتقلنا إلى الحجرة وازداد الجو صمتا وحتى النسيم لم يعد معنا .

ونظرت إلى أختى فإذا بها قد تحولت إلى الممثلة السينمائية جريتا جاربو وهى ممثلتى المفضلة وطرت من السعادة بغير أجنحة .

وملأ السرور جوانحى ، غير أن ذلك السحر لم يدم طويلا ، وأردت أن أستعيد المعجزة السحرية مرة أخرى ولكن أختى رفضت الذهاب معى ، فسألتها عن سبب الرفض فقالت : أمى .

فقاطعتها قبل أن تتم عبارتها : إنها لا تدرى .

فقالت بيقين : إنها تدرى كل شىء .

وشعرت بأن الحزن غشى كل شىء كأنه شابورة مفاجئة .

حلم ١٠

جمعتنا الصداقة والنشأة وتواعدنا فى تلك الحارة وذيول الليل تهبط . ولا هدف لنا إلا الانشراح باللقاء والاستسلام للمزاح والضحك على طريقة القافية .

وتبادلنا النكات وأخذنا نتحول إلى أشباح فى الظلام وتعارفنا بأصواتنا ، ولم نكف عن المزاح والقافية وانطلقت قهقهاتنا ترج الجدران وتوقظ النيام . الحارة متعرجة ونحن نتقارب حتى لا نذوب فى الظلمة وكلما تمادينا فى الحيرة غالينا فى الضحك وبدأنا نتساءل حتى نجد خلاصنا فى ميدان أو شارع كبير .

وذكرنا أحدنا بأن الملكة الفرعونية التى أرادت الانتقام من الكهنة

الـذيـن قتلـوا زوجها دعتهم إلـى مكان يشـبه هـذا الـذى يتخبطون فيه، وسلطت عليهـم الميـاه وما كاد يفـرغ من حكايته حتى هطلت السـماء علينـا بقوة غير معهودة وأسكتنا الرعد ومضت المياه ترتفع حتى غطت أقدامنا، وزحفنا على سيقاننا وشعرنا بأننا نغرق تحت المطر فى ظلم الليل ونسينا نكاتنا وضحكاتنا ولم يعد لنا من أمل فى الخلاص إلا أن نطير فى الفضاء.

حلم ١١

فى ظل نخلة على شـاطئ النيل استلقت على ظهرها امرأة فـارعـة الطول ريانة الجسد، وكشفت عن صدرها ونادت يزحف نحوها أطفال لا يحصرهم العد، وتزاحموا على ثدييها ورضعوا بشراهة غير معهودة وكلما انتهت جماعة أقبلت أخرى وبدا أن الأمر أفلت زمامه وتمرد على كل تنظيم. وخيل إلىّ أن الحال تقتضى التنبيه أو الاستغاثة ولكن الناس يغطون فى النوم على شـاطئ النيل. وحاولت النداء ولكن الصوت لم يخرج من فمى وأطبق على صدرى ضيق شديد. أما الأطفال والمرأة فقد تركوها جلدة على عظم، ولما يئسوا من مزيد من اللبن راحوا ينهشون اللحم حتى تحولت بينهم إلى هيكل عظمـى، وشعرت بأنـه كان يجب علىّ أن أفعـل شـيئا أكثر من الغداء الذى لم يخرج من فمى وأذهلنى أن الأطفال بعد يأس من اللبن واللحم التحموا فى معركة وحشية فسالت دماؤهم وتخرقت لحومهم، ولمحنى بعض منهم فأقبلوا نحوى أنا لعمل المستحيل فى رحاب الرعب الشامل.

حلم ١٢

فى الجو شىء مثير للأعصاب، فهو من عدة نواح تبرز رءوس وتختفى بسرعة. وجرت شائعة مثل الشهاب تنذر بوقوع الحرب. ترددت كلمة «الحرب» على الألسنة، وعمت الحيرة والانزعاج ورأيت من يحمل تموينا لتخزينه، وجعلت أتذكر تلك الأيام المكدرة، هل نبقى أم نهاجر؟ ولكن إلى أين؟

ولذت بمقر المكان الآمن من الخطر، وجاء رجل من الأمن وقال صراحة: إن الدولة تريد أن تعرف طاقة الأسر على إيواء من يحتاجون إلى إيواء لا سمح الله. وتضاعفت الاضطرابات وأعلنت أمى وهى تعيش وحدها فى بيت كبير أنها على استعداد لإيواء أسرة كاملة. أما أنا فوجدت أننا يمكن الاستغناء عن حجرة واحدة تسع لشخصين وأصبحت حذرا عند سماع أى صوت أو الإجابة على أى سؤال، وطرق بابى مخبر ودعانى إلى القسم ولما سألته عن سبب الاستدعاء أجاب بخشونة، أنه لا يعرف وقطع حديثنا انطلاق صفارة الإنذار.

حلم ١٣

هذا هو المطار، جوه يموج بشتى الأصوات واللغات، وكن قد فرغن من جميع الإجراءات ووقفن ينتظرن، اقتربت منهن وقدمت إلى كل منهن وردة فى قرطاس فضى وقلت: مع السلامة والدعاء بالتوفيق.

فشكرننى باسمات وقالت إحداهن: إنها بعثة شاقة ونجاحنا يحتاج إلى أعوام وأعوام.

فأدركت ما تعنى وغمر الألم قلبى وتبادلنا نظرات وداع صامتة ولاحت لأعيننا مرات الزمان الأول.

وتحركت الطائرة وجعلت أتابعها بعينى حتى غيَّبها الأفق، وحال عودتى إلى بهو المطار لم أعد أذكر إلا رغبتى فى الاهتداء إلى مكتب البريد.

وكأننى ما جئت إلا لهذا الغرض وحده، وسمعت صوتا يهمس: أنت تريد مكتب البريد؟ فنظرت نحوه ذاهلا فرأيت فتاة لم أرها من قبل فسألتها عن هويتها فقالت بجرأة: أنا بنت ريا. لعلك مازلت تذكر ريا وسكينة؟

فقلت وذهولى يشتد: إنها ذكرى مرعبة.

فرفعت منكبيها وسارت وهى تقول: إن كنت تريد مكتب البريد فاتبعنى، فتبعتها بعد تردد غاية فى العنف.

حلم ١٤

تريضت على الشاطئ الأخضر للنيل، الليلة ندية والمناجاة بين القمر ومياه النهر مستمرة تشع منها الأضواء، هامت روحى حول أركان العباسية المفعمة بالياسمين والحب ووجدت نفسى تردد السؤال الذى يراودها بين حين وآخر: لماذا لم تزرنى فى المنام ولو مرة واحدة منذ رحلت على الأقل لأتأكد من أنها كانت حقيقة وليست وهما من أوهام المراهقة؟! وهل الصورة التى طبعت فى خيالى هى الصورة الحقيقية للأصل؟ وإذا بصوت موسيقى يترامى إلىّ من ناحية الشارع المظلم صارت أشباحا ثم تجلت مع ضوء أول مصباح صادفها فى

طريقها، أدهشنى أنها لم تكن غريبة علىّ فى الموسيقى النحاسية التى كثيراً ما استمعت إليها فى صباى ورأيتها تتقدم بعض الجنازات وهذا اللحن أكاد أحفظه حفظا، أما المصادفة السعيدة غير المتوقعة فهى أن حبيبتى الراحلة تسير وراء الفرقة هى هى بطلعتها البهية ومشيتها السنية وملامحها الأنيقة، أخيراً تكرمت بزيارتى وتركت الفرقة الجنائزية تسير ووقفت قبالتى لتؤكد لى أن العمر لم يضع هدراً، وقمت واقفا منبهرا وتطلعت إليها بكل قوة روحى وقلت لنفسى إن هذه فرصة لا تتكرر. لألمس حبيبة القلب.

وتقدمت خطوة وأحطتها بذراعى ولكنى سمعت طقطقة شيء يتكسر وأيقنت أن الفستان ينسدل على فراغ وسرعان ما هوى الرأس البديع إلى الأرض وتدحرج إلى النهر وحملته الأمواج مثل ورد النيل تاركة إياى فى حسرة أبدية!

حلم ١٥

بهو رُصَّت على جوانبه المكاتب. . إنه مصلحة حكومية أو مؤسسة تجارية والموظفون بين السكون وراء مكاتبهم أو الحركة بين المكاتب.

وهم خليط من الجنسين والتعاون فى العمل واضح والغزل الخفيف غير خاف وأنا فيما بدا من الموظفين الجدد ومرتبى على قد حاله وشعورى بذلك عميق ولكنه لم يمنعنى من طلب يد فتاة جميلة وهى كموظفة أقدم وأعلى. والحق أنها شكرتنى ولكنها اعتذرت عن عدم الاستجابة لطلبى قائلة: لا نملك ما يهيئ لنا حياة سعيدة.

وتلقيت بذلك طعنة نفذت إلى صميم وجدانى.

ومن يومها تحسبت مفاتحة أى زميلة فى هذا الشأن على الرغم من إعجابى بأكثر من واحدة وعانيت مر المعاناة من العزلة والكآبة . . وألحقت بالخدمة فتاة جديدة فوجدت نفسى فى مكانة أعلى لأول مرة فأنا مراجع وهى كاتبة على الآلة الكاتبة ومرتبى ضعف مرتبها إلا أنها لم تكن جميلة بل الأدهى من ذلك أنى سمعت همسا يدور حول سلوكها وبدافع من اليأس قررت الخروج من عزلتى فداعبتها فإذا بها تداعبنى ، ومن شدة فرحى فقدت وعيى وطلبت يدها وقالت لى : آسفة !

فلم أصدق أذنى وقلت وأنا أتهادى : مرتبى لا بأس به بالإضافة إلى مرتبك .

فقالت بجدية : المال لا يهمنى .

وهممت أن أسألها عما يهمها ولكنها ذهبت قبل أن أنطق . .

حلم ١٦

هنأنى الطبيب المساعد على نجاح العملية . . عقب إفاقتى من التخدير ، أشعر بارتياح عميق وبسعادة النجاة الصافية . دخلت الحجرة فجاءت الممرضة بكرسى وجلست مقتربة برأسها من رأسى تأملتنى مليا ثم قالت لى بهدوء شديد : طالما كانت أمنيتى أن أراك راقدا بلا حول ولا قوة .

فنظرت إليها بدورى وقلت لها فى ذهول : ولكنى أراك لأول مرة فى حياتى فلماذا تتمنين لى السوء؟

فقالت باحتقار وحقد : جاء وقت الانتقام .

وقامت وغادرت الحجرة تاركة إياى فى دوامة من الحيرة والقلق والخوف، كيف تتصور تلك المرأة أننى أسأت إليها على حين أننى أراها لأول مرة فى حياتى وجاء الطبيب الجراح ليلقى علىّ نظرة فتشبثت به قائلا: أدركنى يا دكتور فإن حياتى فى خطر.

فأصغى إلىّ وأنا أقص عليه ما جرى وأمر بعرض الممرضات المكلفات بالخدمة فى العنبر علىّ ولكنى لم أعثر على الممرضة بينهن.

وغادرنى الدكتور وهو يقول: أنت هنا فى كامل الرعاية.

ولكن صورة الممرضة لم تفارقنى ولم تغب عنى الوساوس وكل من دخل الحجرة نظر إلىَّ بغرابة كأننى أصبحت موضع تساؤل وشك وتراءى أمام عينى طريق طويل ملىء بالمتاعب.

حلم ١٧

تواصلت أحياء الجمالية والعباسية وأنا أسير وكأننى أسير فى مكان واحد. وخيّل إلىّ أن شخصا يتبعنى، فالتفت خلفى ولكن الأمطار هطلت بقوة لم نشهدها منذ سنين ورجعت إلى مسكنى مهرولا. وشرعت أخلع ملابسى، ولكن شعوراً غريبا اجتاحنى بأن شخصا غريبا مختف فى المسكن، واستفزنى استهتاره، فصحت به أن يسلم نفسه، وفُتح باب حجرة الاستقبال وبرز رجل لم أر مثيلا فى مساحته وقوته وقال بهدوء وسخرية «سلم أنت نفسك».

وملكنى إحساس بالعجز والخوف وأيقنت أن ضربة واحدة من يده كفيلة بسحقى تماما، أما هو فأمرنى بتسليمه محفظتى ومعطفى وكان المعطف يهمنى أكثر ولكنى لم أتردد إلا قليلا وسلمته المعطف

والمحفظة . . ودفعني فألقاني أرضا، ولما قمت كان قد اختفى وتساءلت هل أنادي وأستغيث.

ولكن ما حدث مهين ومخجل وسيجعلني نادرة ونكتة فلم أفعل.

وفكرت في الذهاب إلى القسم، ولكن ضابط المباحث كان من أصحابي وستذاع الفضيحة بطريقة أو بأخرى.

وقررت الصمت ولكني لم أسلم من الوساوس.

وخفت أن أقابل اللص في مكان ما وهو يسير هانئا بمعطفي، ونقودي.

حلم ١٨

وتم مجلسنا على الجانبين في القارب البخاري.

بدا كل واحد وحده لا علاقة له بالآخرين وجاء الملاح ودار الموتور. الملاح فتاة جميلة، ارتعش لمرآها قلبي. أطلت من النافذة وأنا واقف تحت الشجرة وكان الوقت بين الصبا ومطلع الشباب، وركزت عيني في رأسها النبيل وهي تمرق بنا في النهر وتتناغم خفقات قلبي مع دفقات النسيم وفكرت أن أسير إليها لأرى كيف يكون استقبالها لي.

لكني وجدت نفسي في شارع شعبي لعله الغورية وهو مكتظ بالخلق في مولد الحسين ولمحتها تشق طريقها بصعوبة عند أحد المنعطفات فصممت على اللحاق بها . .

وحيا فريق من المنشدين الحسين الشهيد.

وسرعان ما رجعت إلى مجلسي في القارب وكان قد توغل في النهر

شوطا طويلا . ونظرت إلى مكان القيادة فرأيت ملاحا عجوزا متجهم الوجه ، ونظرت حولى لأسأل عن الجميلة الغائبة ولكنى لم أر إلا مقاعد خالية .

وقمت لأسأل العجوز عن الجميلة الغائبة .

حلم ١٩

انبهرت بالشقة الجديدة بعد تسلمها ، ففحصت كل موضع بنظراتى ، امتلأت جوانحى بالسعادة وقلت لنفسى من الآن يحق لى أن أشغل وظيفة وعلىّ أن أسعى إليها دون تأخير .

وذهبت إلى السوق ، المكان واسع المساحة ، مسوّر بسور من البناء المتين ، وأظهرت أوراق ملكية الشقة فسمحوا لى بالدخول .

المكان مكتظ بالخلق ، لمحت وجوها أحببتها كثيرا ولكنهن جميعا كن متأبطات أذرع رجالهن ، وذهبت إلى النافذة المقصودة وقدمت أوراقى وفى مقدمتها أوراق ملكية الشقة الجديدة ، وفحصها الرجل وسجلها وقال لى : «لا توجد الآن وظائف خالية ، وسوف نتصل بك ، فى الوقت المناسب» .

شعرت بخيبة أمل وشعرت بأننى سأنتظر طويلا ورجعت مخترقا الجموع ، ومتأملا ـ بعجلة ـ الوجوه الجميلة التى أحببتها فى الماضى ، ولبثت فى الشقة وحدى ، وفى الطريق سمعت رجلا يقول بصوت جهير «لا معنى لأن يملك شخص شقة دون أن يشغل وظيفة . . الأولى أن يتركها لغيره فيمن يحظون بفرص أكثر لشغل وظيفة» . . وكأنه يعنينى بقوله ، وما دامت الفكرة وجدت فقد تتحول إلى واقع .

وساورنى الشك والهم، وانتظرت ما يخبئه الغد بعين قلقة مؤرقة.

حلم ٢٠

خرجنا باحثين عن مكان طيب نمضى فيه بعض الوقت، ونظرنا إلى الهلال ثم تبادلنا النظر. ورأيت على ضوء المصباح رجلا عملاقا لم تر العين مثله، أرسل عمودا لا مثيل لطوله نحو الهلال حتى بلغ طرفه، وراح بحركة ماهرة يفرد طيات نوره حتى استوى بدرا. وسمعنا أصوات تهليل فهللنا معها وقلت إنه لم يحدث مثل هذا من قبل فصدَّقت على قولى، وانساب النور على الكون رفعنى على سطح الماء فهتفت: «ليلة قمرية» فقالت: «القارب يدعونا» وركبنا ونحن فى غاية السرور، وغنى الملاح رايداك والنبى رايداك، وأسكرنا الفرح، فاقترحت أن نسبح حول القارب. وخلعنا ملابسنا ووثبنا إلى الماء وسبحنا ونحن فى غاية الامتنان، ولكن القمر تراجع فجأة إلى الهلال واختفى الهلال.. انزعجنا انزعاجا لم نعرف مثله من قبل، ولكننى شعرت بأنه يجب مراجعة الموقف بما يتطلبه من جدية فقلت ونحن غارقان فى الظلام: «لنسبح نحو القارب» فقالت: «وإذا ضللنا الطريق» فقلت: «نستطيع أن نسبح حتى الشاطئ» فقالت: «سنكون عاريين على الشاطئ» فقلت: فليؤجل التفكير فى ذلك.

حلم ٢١

الشارع الجانبى لا يخلو من مارة وأناس فى الشُرفات، والسيدة تسير على مَهل وتقف أحيانا أمام معارض الأزياء.

يتعرض لها أربعة شبان دون العشرين، تتجهم فى وجوههم وتبتعد عن طريقهم، ينقضّون عليها ويعبثون بها، تقاوم والناس تتفرج دون أى مبادرة. . الشبان يُمزّقون ثوبها ويعرون أجزاء من جسدها، السيدة تصوّت مستغيثة، راقبت ما حدث فتوقفت عن السير وملكنى الارتياع والاشمئزاز، ووددت أن أفعل شيئا أو أن يفعله غيرى ولكن لم يحدث شيء، وبعد أن تمت المأساة وفر الجناة. . جاءت الشرطة، وتغير المكان فوجدت نفسى مع آخرين أمام مكتب الضابط، واتفقت أقوالنا، ولما سُئلنا عما فعلناه كان الجواب بالسلب وشعرت بخجل وقهر، وكانت يدى ترتجف وهى توقع بالإمضاء على المحضر.

حلم ٢٢

كنا فى حجرة المكتب مشغولين ونظر إلى وجهى وقال: إنك مشغول البال فقلت له بإيجاز وإعياء: سعر الدواء لا أطيقه فقال: أفهم ذلك وأقدره وأحمد الله الذى نجانى من مخالبه، فسألته: كيف نجا مما لا نجاة منه فقال: «لى صديق له أخ صيدلى» فلما عرف شكواى أكد لى أنه يملك الحل. . وعرف منى الأدوية اللازمة لى ولأسرتى شهريا وعرضتها على أخى الصيدلى فجاءنا بمثيل لها بأقل من عُشر الثمن.

فسألته عن مدى الخطورة فى العملية فطمأننى وحدثنى طويلا عن أساليب شركات الأدوية حتى أذهلنى وأزعجنى، ولم أتردد فكتبت له قائمة بالأدوية اللازمة لى شهريا وأنا أشعر بارتياح عميق.

وإذا به يقول لى: «ولكنى أريد منك خدمة فى مقابل ذلك» فأبديت استعدادى لأداء ما يطلب.

فقال: «أنا يزعجنى الهجوم على الروتين الحكومى والبيروقراطية وتأثر الحكومة بما يقال وبما يكتب وأريد منك أن تكرس قلمك للدفاع عن الروتين والبيروقراطية» فدهشت وسألته عن سر حماسه لما أجمع الناس على نقده ورفضه فقال غاضبا: «يا أخى ما قيمة الموظف أمام الجمهور من غير الروتين والبيروقراطية؟» ودار رأسى حيرة بين الأدوية والروتين.

حلم ٢٣

أسير فى الشارع وأنا على بيِّنة من كل مكان فيه، فهو عملى ونزهتى، وأصحابى وأحبائى، أحيِّى هذا وأصافح ذاك، غير أنى لاحظت أن رجلا يتعدانى بمسافة غير طويلة وغير قصيرة، وبين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما ليطمئن إلى أنى أتقدم وراءه. لعلى لم أكن أراه لأول مرة ولكن على وجه اليقين لا تربطنى به معرفة أو مودة وضايقنى أمره فاستفزنى إلى التحدى.. أوسعت الخطى فأوسع خطاه، أدركت أنه يبيِّت أمرا فازددت تحديا ولكن دعانى صديق إلى شأن من شئوننا، فملت إلى دكانه وانهمكت فى الحديث، فنسيت الرجل وأنهيت مهمتى بعد الأصيل، فودَّعته ومضيت فى طريق سكنى وتذكرت الرجل فالتفت خلفى فرأيته يتبعنى على نفس طبيعته.. تملكنى الانفعال وكان بوسعى أن أقف لأرى ماذا يفعل ولكنى بالعكس وجدت نفسى أسرع وكأنى أهرب منه وأخذ يساورنى القلق وأتساءل عما يريد. ولما لاح لى مسكنى شعرت بالارتياح وفتحته ودخلت دون أن أنظر خلفى ووجدت البيت خاليا فاتجهت نحو غرفة

نومى ولكنى توقفت بإزاء شعور غريب يوحى إلىّ بأن الرجل فى داخل الحجرة.

حلم ٢٤

قررت إصلاح شقتى بالإسكندرية بعد غياب ليس بالقصير، وجاء العمال وفى مقدمتهم المُعلم وبدأ العمل بنشاط ملحوظ، وحانت منى التفاتة إلى شاب منهم فشعرت بأننى لا أراه لأول مرة، وسَرت فى جسدى قشعريرة عندما تذكرت أننى رأيته يوما فى شارع جانبى يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار، ولكنى لم أكن على يقين وسألت المُعلم عن مدى ثقته بالشاب دون أن أشعر الشاب بذلك فقال لى المعلم:

- إنه مضمون كالجنيه الذهب فهو ابنى وتربية يدى واستقر قلبى إلى حين، وكلما وقع بصرى على الشاب انقبض صدرى، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلة على الشارع الذى يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفوننى ولكنى رأيت حارة الجراج التى تطل عليها شقتى بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضى، وجرى الوقت واقترب المساء فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمى بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابى عن الشقة.

فقال الشاب: «لا تقلق.. معى شمعة».. فساورنى شك بأن الفرصة ستكون مُتاحة لنهّب ما خف وزنه وبحثت عن المُعلم فقيل لى إنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلقى يتزايد، وتصورت أن غيابه فى الحمام مؤامرة وأننى وحيد فى وسط عصابة، وناديت على المُعلم ونُذر المساء تتسلل إلى الشقة.

حلم ٢٥

رأيتها في الحجرة معى . ولا أحد معنا ، فرقص قلبى طربا وسعادة ، وكنت أعلم أن سعادتى قصيرة . وأنه لن يلبث أن نفتح الباب ويجىء أحد . . وأردت أن أقول لها إن جميع الشروط التى أبلغت بها على العين والرأس ، ولكن تلزمنى فترة من الزمن ولكنى ، فتنت بوجودها فلم أقل شيئا ، وناديت رغبتى .

فخطوت نحوها خطوتين لكن الباب فتح ودخل الأستاذ وقال بحدة : «إنك لا تفهم معنى الوقت» واقتلعت نفسى وتبعته إلى معهده القائم قبالة عمارتنا وهناك قال لى : «أنت فى حاجة إلى العمل عشر ساعات يوميا حتى تتقن العزف» ودعانى للجلوس أمام البيانو فبدأت التمرين وقلبى يحوم فى حجرتى . وسرعان ما انهمكت فى العمل .

وعندما سمح لى بالذهاب كان المساء يهبط بجلاله ، وبادرت أعبر الطريق على عجل ، ولكن لم يكن ثمة أمل فى أن تنتظرنى مدة غيابى .

وإذا برجل صينى طويل اللحية بسام الوجه يعترض سبيلى ويقول : «كنت فى المعهد وأنت تعزف ، ولاشك عندى أنه ينتظرك مستقبل رائع» .

وانحنى لى وذهب وواصلت سيرى وأنا مشفق مما ينتظرنى فى مسكنى من وحشة .

حلم ٢٦

جمعنا مقهى بلدى، وقص علينا صاحبى قصة بوليسية من تأليفه . . وقبيل الختام دعانا إلى الكشف عن القاتل. ومن نجح دفع له صاحبى ثمن طلبه، ووفِّقت إلى الإجابة الصحيحة وحدث لى بذلك غاية السعادة. وبعد ساعة استأذنت فى العودة إلى بيتى. ولانشغالى بنجاحى تهت فسرت فى طرق حتى وجدت نفسى أخيرا أمام المقهى مما أثار ضحك الجميع، وتطوع أحدهم فأوصلنى إلى بيتى وودعنى وانصرف. بيتى مكون من طابق واحد وحديقة صغيرة وشرعت فى خلع ملابسى ولما صرت بملابسى الداخلية لاحظت أن خطا من التراب يتساقط من أحد أركان الغرفة. . وكان هذا المنظر قد ورد فى القصة التى ألفها صاحبنا وكان نذيرا بسقوط البيت على من فيه فبكيت أن بيتى الصغير سينقض فوق رأسى. وملكنى الفزع فغادرت البيت بسرعة ولهوجة واستزادة فى الأمان انطلقت بعيدا عن البيت بأقصى سرعة فى الهواء الطلق.

حلم ٢٧

فى سفينة عابرة للمحيط. أجناس من كل لون ولغات شتى. وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة، إنى ذعرت ولكن أحدا لم يكن يعنى بأحد، وقال لى خاطر إننى وحيد فى أعماق المحيط، وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوسا وينقشع بيقظة دافئة بالسرور. والريح تشتد، والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج. وظهر أمامى فجأة حمزة أفندى مدرس الحساب

بخيرزانته وحدجنى بنظرة متسائلة عن الواجب، كان الإهمال الواحد بعشر خيرزانات تكوى الأصابع كيا، وازددت كرها من ذكريات تلك الأيام.

وهممت بدق عنقه ولكنى خفت أن يكون أى خطأ سببا فى هلاكى فسكت على الذل وتجرعته رغم جفاف ريقى. ورأيت حبيبتى فهرعت نحوها أشق طريقا بين عشرات المذهولين. ولكنها لم تعرفنى وتولت عنى وهى تلعن ساخطة، وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها فى العاصفة واعتقدت أنها تبين لى طريق الخلاص فجريت متعثراً نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلى ملوِّحا بعصاه.

حلم ٢٨

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجىء، أما الفتاة الجميلة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحيانا السندوتشات. وابتسم لى الحظ فربحت عددا من الجنيهات، يعد كبيرا فى مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أننى سأنسحب، وعلى الرغم من أن أحدا لم يصدق عذرى إلا أننى انسحبت، وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لى خفية عن بعض أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجا على تلك التهمة الباطلة. وقام الرجل ومعه آخران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهى تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التى تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه، وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكنى القريب.

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتنى أن المجموعة غاضبة وزادها السُكْر غضبا وتهدد باقتحام مسكنى وإشعال فضيحة فى الحى كله ونصحتنى أن أرد ما ربحته حلا للمشكلة، ولكنى قلت لها إنهم سيعتبرون ذلك اعترافا بجريمة لم نرتكبها، فقالت إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها.

وعاد الهدوء لليل ولكنى لم أزل أتوقع فضيحة أو شرا من ذلك.

حلم ٢٩

المكان جديد لم أره من قبل، لعله بهو فى فندق وقد جلس الحرافيش حول مائدة، وكانوا يناقشوننى حول اختيار أحسن كاتبة فى مسابقة ذات شأن، وبدا واضحا أن الكاتبة التى رشحتها لم تحز أى قبول، قالوا إن ثقافتها سطحية، وإن سلوكها غاية فى السوء، وعبثا حاولت الدفاع، ولاحظت أنهم ينظرون إلىَّ بتجهُّم غير معهود وكأنهم نسوا عشرة العمر، وتحركت لمغادرة البهو فلم يتحرك منهم أحد وأعرضوا عنى بغضب شديد، سرت نحو المصعد ودخلت وأنا أكاد أبكى، وانتبهت إلى أنه توجد معى امرأة فى ملابس الرجال ذات وجه صارم، قالت إنها تسخر بما يسمونه صداقة وإن المعاملة بين البشر يجب أن تتغير من أساسها، وقبل أن أفكر فيما تعنيه استخرجت مسدسا من جيبها ووجهته الىَّ مطالبة إياى بالنقود التى معى، وتم كل شيء بسرعة ولما وقف المصعد وفتح بابه أمرتنى بالخروج، وهبط المصعد ووجدتنى فى طرقة مظلمة وقهرنى شعور بأننى فقدت أصدقائى وأن حوادث كالتى وقعت لى فى المصعد تتربص بى هنا أو هناك.

حلم ٣٠

هذا بيتنا بالعباسية أدخل الصالة أمى تذهب إلى المدخل وأختى تجىء فتقف لحظات ثم تلحق بأمها، لم نتبادل السلام ولكنى أعلنت عن جوعى الشديد بصوت مسموع، لم يرد أحد فكررت الطلب. وسمعت أصواتا فى الحجرة المطلة على الحقل فذهبت إليها فوجدت أخى الأكبر يجلس صامتا، ويتربع أمامه على الكنبة شيخ بالأزهر وقال الشيخ كلاما جميلا ولما انتهى قلت له: إنى جائع فقال لى: إن أحدا لم يقدم له القهوة ولا حتى قدح ماء، فغادرت الحجرة وقلت بصوت تسمعه أمى وأختى أن يقدما القهوة لفضيلة الشيخ وأن يحضرا لى طعاما ولو قطعة خبز وجبنة ـ ولم أتلق إلا الصمت، غير أنى سمعت حركة فى الحجرة المطلة على الفناء فأسرعت إليها وذكرت أنها حجرتى وفيها الفونوغراف والأسطوانات التى أحببتها، فوجدت بنت الجيران التى كانت تزورنى لتستعير بعض أسطوانات سيد درويش خصوصا أسطوانة أنا عشقت وكانت تبحث عن إبرة لتسمع أسطوانة فقلت لها: إنى جائع فقالت لى: إنها جائعة أيضا. وغلبنى الجوع فغادرت الحجرة وصحت طالبا لقمة ولما لم أجد أى شىء غادرت البيت والمساء يظل الطريق والطريق خال وخفت أن تكون المحال قد أغلقت ولكنى اتجهت نحو المخبز منهوك القوى من الجوع وثمة أمل يراودنى.

حلم ٣١

أمتطى حمارا يسير بى وسط الحقول خطوات رتيبة وأنا خال من المشاعر تحت أشعة شمس الخريف، وترامى إلينا نباح كلب فتوقف الحمار فنخسته بكعبى فعاد إلى السير، ويعود النباح ويتنوع فأحددت بصرى لأرى الرجل الذى أقصده. وظهرت امرأة محاطة بالعديد من الكلاب فهتفت فيها أن تكف عن النباح فأذعنت لها فسلمت وقلت إنى قادم لمقابلة الشيخ بناء على خطابين متبادلين، قالت المرأة إنها صاحبة الأمر الأخيرة وأنها تستطيع أن تقدم الخدمات المطلوبة كما تستطيع أن تفنى من تشاء إن حرضت عليه الكلاب.

فقلت: إننى جئت للسلام لا للحرب وإنى أريد عملا، وأشارت إلىّ فنزلت عن ظهر الحمار ووقفت أمامها فى خشوع وسارت وتبعتها ومن خلفى الحمار تحيط بنا الكلاب، ووقفت أمام مبنى صغير فتوقف الركب كله، وأمرتنى بالدخول فدخلت وقالت لى أن أنتظر فى الداخل وحذرتنى من الخروج إلى الكلاب التى لا ترحم. فسألتها حتى متى ألبى. وماذا عن العمل؟ وأن الشيخ وعدنى خيرا ولكنها لم تحفل بكلامى وامتطت الحمار وذهبت تاركة الكلاب حول المبنى. وكانت ترسل إلىّ باحتياجاتى مع رجال أشداء ولكنهم لاينبسون بكلمة وأفكر أحيانا فى الدخول مع الكلاب فى معركة حياة أو موت. ولكن يتغلب الأمل فأنتظر.

حلم ٣٢

حدثنى الزميل القديم فقال إنه ذاهب للعمل فى اليمن وقال لى إن ثمة كلاما يدور حول دعوتى للعمل فى اليمن وحثنى على القبول فوعدت بالتفكير فى الموضوع دون أن أبدى أى حماس له، وفى البيت الذى أعيش فيه وحيدا مع كلبتى فكرت فى الأمر على غير المتوقع. وشجعنى على ذلك نفورى من كلبتى، الذى تولد منذ أخذ وجهها يتغير ويتخذ صورة وجه إنسان. كانت وهى كلبته خالصة جذابة ومسلية أما بعد التغيير المذهل فلم تعد كلبته ولا بلغت أن تكون إنسانا وسرعان ما أجد نفسى فى حجرة مكتبى فى اليمن وسكرتيرى الخاص واقف بين يدى، وكانت الحرارة شديدة، فسألت السكرتير عن حال الجو فى هذا البلد فقال لى إنه دافئ شتاء وشديد الحرارة بقية فصول السنة ولكن المبنى مرتفع جدا وكلما ارتفع تحسن الجو وأنه ما علىَّ كلما ضقت بالجو إلاَّ أن أكتب التماسا للمدير للنقل إلى طابق أعلى، سررت بعد اكتئاب وقمت إلى النافذة ونظرت إلى أعلى فرأيت المبنى عظيم الارتفاع حتى خيل إلىَّ أنه يلامس السماء.

ورأيت رءوسا تطل من النوافذ العالية فارتعش قلبى لرؤيتها؛ إذ رأيت فيها وجوه أحبة الزمان الأول. سررت سرورا لا مزيد عليه وحمدت الله على قبولى الدعوة للعمل فى اليمن السعيد.

حلم ٣٣

ماذا حَل بالشارع بل بالحىّ كله؟ . . على ذاك لم أكن أتوقع خيراً فيما أرى.

الحىّ كله كأنما هَرِم به العمر فذهب رونقه وتناثرت القمامة هنا وهناك، وصادفنى أحَد العاملين فسألته: ماذا جرى؟

فأجاب وهو يبتسم: البقاء للـه وحده، وسبحان مُغيّر الأحوال.

وقصدت مسكن صديقى متوقعا أن يحيق به ما حاق بالحى كله أو أكثر، ولا أُنكر أنه كان وساطتى للحصول على بعض الأدوية الضرورية من الخارج كما كانت مكالمة تليفونية منه تحل أعصى المشكلات فى المصالح الحكومية، وجدته كاسف البال لا يأمل خيراً فى شىء. . فعزَّيته وقلت له إنه صاحب مهنة على أى حال.

فقال متهكّما: ستثبت لك الأيام أننا لسنا أسوأ من غيرنا.

وساءلت نفسى: ترى هل يوجد حقًا ما هو أسوأ، وسرعان ما حضر نفر من الشبان والشابات، ومع كل حقيبته مَلأها بأشيائه المودعة فى الشقة مثل البيجامات والملابس الداخلية والقمصان النسائية الفاتنة وأدهنة وروائح عطرية.

وحمل كل حقيبته وذَهب. . نطق كل شىء بما كانت تؤديه شقته من خدمات كما فطن بتدهوره. . وتساءلت فى نفسى. . ترى هل كان ينعم بالفخر أو أنه تجرّع المذلة والقهر؟

حلم ٣٤

عند منعطف من منعطفات الحارة، رأيت أمامي الصديقين الشقيقين اللذين طال غيابهما وأحزنني غاية الحزن، وبهتنا لحظات ثم فتحت الأذرع وكان العناق الحار، وتذاكرنا الأحزان والأفراح والليالي الملاح وطلبا مني زيارة سكني فمضيت بهما إليه على بُعد أمتار، وتفحصاه حجرة بعد حجرة وضحكا طويلا كعادتهما ثم أعربا عن أسفهما لبساطة المأوى ثم سخرا مني بلسانيهما اللاذعين الجذابين، وسألاني عن عملي الذي أعيش منه، فأجبت بأنني عازف رباب وأتغنى بعذابات الحياة وغدر الدهر، وعزفت لهما وغنيت فقالا إنها حياة أشبه بالتسول ولذلك فهما لا يدهشان لما يبدو في وجهي من آثار الضعف والبؤس وقالا لي إنهما بحثا عني طويلا حتى عثرا عليّ، وتبين لهما أن قلقهما كان في محله وأنهما يبشرانه بالفرج . . حمدت الله على ذلك ولكن ما الذي يبشرانني به، قالا : ستهاجر معنا إلى المكان الجميل والرزق الوفير، فسألت كيف يتيسر لي ذلك فقالا إنهما ـ كما أعلم ـ يمتان بصلة لأصحاب النفوذ ولا خير يجيء إلا عن طريق أصحاب النفوذ .

وتأبطا ذراعي وسارا بي إلى الخارج، حتى بلغنا أحد الرجال العظام شكلا وموضوعا، واستمع للحكاية بوجه محايد، وقال لي إن الهجرة تحتاج لهمة عالية وصبر طويل، فوعدني خيراً وقال الصديقان، إنهما يطمئناني . . فقال :

ـ انتظروني عند الجامع على طلوع الفجر .

حلم ٣٥

في بيت العباسية ونحن نأوى إلى أسرتنا للنوم أيقظني صوت ابن أخي وهو يصيح حريق في السقف ، ونهضت فزعاً وجاء ابن أخي بالسلم الخشبي وأقمناه في الصالة وصعد كل واحد منا على جانب حاملاً ما استطاع حمله من الماء وأخذ يرشه على النار السارية بين الأركان ، واقتحمت حجرة أختي . وأيقظتها من نومها العميق ومن عجب أنها قامت متكاسلة ومتشاكية من أننا لا نتركها أبداً تنعم بالنوم . وعلى أي حال ساعدتنا بملء الأوعية بالماء حتى سيطرنا على النار وأخمدناها . وبدأنا نحقق في الأمر ولكن رجال المطافئ حضروا على أثر استدعاء الجيران لهم وتأكدوا من خمول النار وفتحوا الشرفات وتفقدوا الأثاث الموجود بها وانتهى الحريق بعد أن أفعمنا فزعًا . وعندما جلسنا نستعيد بعض هدوئنا دق جرس التليفون ، ويلاحظ هنا تداخل الزمان والمكان إذ إن بيت العباسية لم يكن به تليفون ، وهكذا أصبحنا في مسكن آخر مع أناس آخرين . دق جرس التليفون وكان المتحدث صاحب العمارة التي استأجرنا بها شقة في الإسكندرية ودعانا الرجل إلى الإسكندرية دون إبطاء وأنه شبت النار داخل الشقة . وطمأننا أنه استدعى المطافئ فأخمدوا النار ولكن حضورنا ضروري بطبيعة الحال . وفي الحال ارتدينا ملابسنا أنا وزوجتي وأسرعنا إلى محطة الباص الصحراوي وكنا في غاية الكدر والانزعاج حتى أنني اقترحت على زوجتي إخلاء الشقة وتسليمها لصاحبها ، خاصة وأنها تعرضت إلى محاولة سرقة قبل ذلك ولكنها قالت لي انتظر حتى نرى ماذا ضاع منا وماذا بقي .

حلم ٣٦

جمعنا بهو ما. ثمة وجوه أراها لأول مرة ووجوه أعرفها جيداً من الزملاء، وكنا ننتظر إعلان نتيجة يا نصيب، وأعلنت النتيجة وكنت الرابح وكانت الجائزة فيلا حديثة، وحصل زياط وتعليقات وتوهان، ولم تستطع وجوه كثيرة أن تخفى كمدها، وقال لى كثيرون إنه فوز ولكنه خازوق من أين لك المال لتأثيثها وتوفير الخدم اللازمين لها واستهلاكات الماء والكهرباء وخدمة حوض السباحة والتكييف.. إلخ؟

الحق أن الحلم مازال حلما وها أنا أتفقد الفيلا كل يوم تقريبا وأرجع بالخيبة والحسرات. واستغل أناس قلة خبرتى وأقنعونى ببيعها واشتروها بثمن، فرحت به ساعات حتى تبين لى أننى خدعت وسرقت.

وحدث فى ذلك الوقت أن خلت وظيفة مدير عام وكثر التزاحم حولها والمرشحون وبطاقات ذوى النفوذ وقابلت الوزير وقلت له إننى لا وسيط لى سواه ولكنه قال لى إنك لم تستطع أن تحافظ على مالك الخاص فكيف أأتمنك على المال العام؟

وصرت نادرة ومثالا فطلبت ضم المدة الباقية لى فى الخدمة إلى خدمتى وإحالتى إلى المعاش وأخيراً وجدت الطمأنينة فى موضع لا يتطلع إليه طماع ولا ينظر إليه ذوو الطموح.

حلم ٣٧

المحمل يتمايل فوق الجمل المزين بالألوان والورود، أمامه رجل يغرس فى فيه عامودا ذا رأس تدلى منه شراشيب ورأس الجمل فى مستوى أول طابق من بيت أطل أنا من نافذته، وتلاقت عينى مع عين الجمل، فقرأت فيها ابتسامة وغمزة وحلت لى البركة فطرت من موقعى وراء النافذة ودرت حول رأس الجمل بجلبابى وشعرى المنفوش وكبرّ الناس وهللوا وذهلوا لوقوع المعجزة وتماديت أنا فارتفعت فى الجو وتراجعت نحو سطح بيتى وهبطت. وبعد مرور المحمل تجمع الناس أمام البيت يريدون مشاهدة الإنسان الطائر، وإذا بهم يتحولون فجأة من الإعجاب إلى الخوف والحذر وقالوا إن روحا شريرة حلت بالشخص الطائر وأن طيرانه حول رأس الجمل نذير شؤم للناس جميعا وإنه يجب أن يبرأ من الشيطان بجلده حتى يتطهر تماماً فإذا رفض الدواء عرّض نفسه للعقاب المناسب وهو القتل، وركب الرعب الشاب وأسرته واستنجدت الأسرة بالشرطة واشترط المأمور أن يرى المعجزة وهى تحدث أمام عينيه وذهب إلى البيت ورأى المعجزة وبهر بها حقا ولكنه وجد نفسه بين رأيين، الأسرة تقول إنها كرامة من كرامات الأولياء والناس تؤكد أنه عبث من الشيطان ونذير شر.

وأخيراً قرر المأمور أن يضع الشاب فى السجن حتى ينسى الموضوع برمته.

حلم ٣٨

فى حجرتى جالس أستمع إلى أغنية يذيعها الفونوغراف . دخلت من الباب المفتوح فتاة فى العشرين جميلة ورشيقة ومثيرة . اكتسحتنى دهشة ورغبة فقمت من مجلسى واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها . وبهدوء مدت يدها بخطاب فتناولته ونظرت فيه ثم رددته إليها وأنا أقول لها إننى لا أستطيع القراءة لضعف بصرى وطلبت منها أن تقرأه هى ولكنها اعتذرت بأنها لا تقرأ ولا تكتب وأن والدها كتبه للأمير المسطر اسمه على الظرف ووصاها والدها قبل وفاته بأن تجيئنى بالخطاب لأحمله إلى الأمير . وقلت لها ودهشتى تتزايد إننى لا أعرف الأمير ولا أى أمير غيره وساورنى الارتياب من ناحيتها وحاولت تغيير الموضوع ولكنها ذهبت .

وعندما كنت أعبر جسر قصر النيل فى طريقى إلى عملى ظهرت لى عند نهايته فتجاهلتها ولكنها تبعتنى مسافة غير قصيرة .

وعندما عدت إلى مسكنى وجدتها مستقرة . حذرتها من أن تعود إلى موضوع الخطاب والأمير ، ومر وقت طيب ولكنى لم أخل من الوساوس ، والظاهر أنها لم تخل كذلك من مخاوف . وكان واضحاً أننا نريد الهرب بطريقة أو بأخرى .

حلم ٣٩

دخلت حجرة الوزير ومعى بيان مكتوب على الآلة الكاتبة بأسماء الموظفين المرشحين للترقية ، اسمى بينهم ، وواضح أن الوزير يخصنى بالرعاية .

وقَّع الوزير البيان فى أعلاه وذهبت به إلى إدارة المستخدمين لتنفيذه، اتجهت إلى الموظف المختص وكانت فتاة شابة وجميلة، نظرت فى البيان ولاحظت أن الوزير وضع إمضاءه فى أعلاه وأنه يجب أن يضعه فى أسفله، وإلا فإنها لن تستطيع تنفيذ أمر الترقية أو على الموظفين المسجلين فى أعلاه، اغتظت وشكوت ما نلاقى من الروتين ولكنها أصرت على موقفها فحملت البيان من جديد إلى الوزير فوقَّع اسمه فى الموضع الصحيح وهو يضحك، ورجعت إلى الفتاة وسلمتها البيان، وكانت تجلس على يمين مكتبها موظفة صديقة معروفة بالمرح فدافعت عن تصرف زميلتها قائلة إنها تضن بالترقية على الموظفين العزَّاب وترى أن المتزوجين أولى بها، وتظاهرت الموظفة بأنها تضايقت من إذاعة هذا السر، ولما قابلتنى الموظفة المرحة بعد ذلك سألتنى عن رأيى فى موظفة المستخدمين فصارحتها بأنها أعجبتنى، فاقترحت أن تبلغها بإعجابى كمقدمة لجمع رأسين فى الحلال. فطلبت مهلة للتفكير فقالت إننى لم أعد شابا وإن عمرى يضيع فى التفكير وأصرت على إبلاغها واستسلمت فلم أرفض..

حلم ٤٠

قبيل المساء وأنا عائد إلى بيتى متدثِّرا بالمعطف والكوفية اعترض سبيلى صبى وصبية غاية فى الجمال والتعاسة، وطلبا منى ما أجود به لوجه الله وبحثت فى جيبى عن فكة فلم أجد فأخرجت ورقة من ذات الجنيهات الخمسة وطلبت من الصبى أن يذهب إلى أقرب كشك ويشترى لى قطعة شيكولاتة ويجيئنى بالباقى. وما غاب الصبى عن عينى حتى بكت الصبية واعترفت لى بأن أخاها يعاملها بغضب شديد

ويدفعها لارتكاب الأخطاء فهى تزداد كل يوم انحرافا وشرا وتدعو الله أن ينقذها مما تعانى. تأثرت وتحيرت. ثم عرفت أن الصبى لن يعود وأدركت مدى حماقتى لما أوليته من ثقة وتذكرت كيف يتهمنى أهلى بالطيبة والغفلة، ولكنى لم أترك له أخته وأخذتها إلى بيتى لتبدأ حياة جديدة مع أهلى. وتحسنت أحوالها وبدت وكأنها من الأسرة لا شغالة لها.

وذات يوم جاء لى شرطى ومعه الصبى الأخ ولما رأى أخته أمسك بها، وعلمت أنى مطلوب فى القسم، وهناك وُجِّهت إلىَّ تهمة اغتصاب البنت والاحتفاظ بها فى بيتى بالقوة، وذُهلت أمام ما يوجه إلىّ وطلبت من البنت أن تتكلم فبكت ووجهت إلىَّ من الكبائر ما لم يخطر لى على بال، وكان المحضر يسجل كل كلمة والدنيا تسود فى عينى وعلى الرغم من إيمانى الراسخ فلم تغب عنى خطورة الموقف.

حلم ٤١

قال لى السمسار: لا تضجر ولا تيأس يلزمك الصبر الجميل. وكنت أعرف أنه على علم بسر قلقى. وأننى مهدد بأن أفقد المأوى وأجد نفسى فى الطريق، قلت له بأننى رأيت من المساكن عدد شعر رأسى ولكن الأسعار دائماً فوق قدرتى، وما هذه المساكن الخيالية التى يقدر ثمن الشقة فيها بالمليون، والعجيب أنه أكد لى أن أربع زميلات لى يملكن شققا فى هذه المساكن الخيالية، وغبطهن على قدراتهن الخارقة، وقال لى الرجل إن الأمل الأخير فى عمارة الحاج على بحى الحسين وأن علينا أن ننتظر عودته من الحج، وقلت له إننى أذكره من أيام إقامتنا فى الحى العتيق وإننى كنت أشترى منه الفول أحياناً بنفسى

فضحك الرجل وقال إن هذا ما يقوله الكثيرون ممن يرجون امتلاك شقة فى عمارته الجديدة .

قلت بخوف : إنه الأمل الأخير .

فقال بلهجة مشجعة : «عليك بالصبر الجميل» .

حلم ٤٢

السفينة تشق طريقها بين أمواج النيل الرزينة ، نحن جلوس على صورة دائرة يقف فى مركزها الأستاذ ، وضح أننا نؤدى الامتحان النهائى ، وكان مستوى الإجابات ممتازا ، وتفرقنا نشرب الشاى ونأكل الجاتوه ، وتسلمنا شهادات النجاح وعند المرسى وقفت السفينة وغادرناها وكل يحمل شهادته فى مظروف كبير ، ووجدت نفسى أسير فى شارع عريض خال من المبانى ومن المارة ، ولاح لى مسجد يقوم وحيدا فاتجهت نحوه لأصلى وأرتاح قليلا ، ولكن تبيَّن لى حال دخولى أنه بيت قديم ، هممت بالرجوع ولكن جماعة من قطاع الطريق أحاطوا بى وأخذوا الشهادة والساعة والمحفظة وانهالوا علىَّ ضربا ثم اختفوا فى أرجاء البيت .

خرجت إلى الطريق وأنا لا أصدق بالنجاة ، وبعد مسيرة يسيرة صادفتنى دورية من الشرطة فهرعت إليهم وحكيت لقائدهم ما وقع لى .

وسرنا جميعا نحو بيت اللصوص ، واندفعوا داخلين شاهرى أسلحتهم ولكننا وجدنا أنفسنا فى مسجد والناس يصلون وراء الإمام . وحصل ذهول وتراجعنا مسرعين وأمر قائد الدورية بإلقاء القبض علىَّ .

وجعلت أؤكد ما وقع لى وأقسم بأغلظ الأيمان، ولكن وضح لى أنهم أخذوا يشكون فى عقلى على أنى لم أكن دونهم حيرة وذهولا.

حلم ٤٣

ليلة زفاف ابن عمى تقام فى بيتنا بالعباسية بين الطبل والأغانى. يتقدم ابن عمى تتأبط ذراعه عروسه فى حلة العرس، وقبل أن يصعدا السلم إلى الداخل يعترضهما مفتش الشرطة، ذهلنا وتساءلنا عما وراء ذلك، انقض المفتش على العروس فتفحص وجهها وأخذ بصمتها على لوح صغير وفحصه بمنظار مكبر وألقى القبض عليها وسار بها إلى سيارة الشرطة، وأدرك الجميع ما يعنيه ذلك وأقبلوا على ابن عمى يواسونه ويحمدون الله الذى نجاه من شر أوشك أن يطوقه، ورغم ذلك فقد مضى الشاب وهو يبكى، وقررت أن أمضى الليلة فى بيت العباسية مع أهلى ولكنى اكتشفت أن جميع مصابيحه الكهربائية معطلة، فسألت أختى كيف يعيشون فى الظلام، واكتشفت أيضا أن جدرانه تحتاج إلى ترميم ودهان، وضقت بالمكان ونويت أن أصلحه، وأعيده إلى رونقه القديم.

حلم ٤٤

وجدت نفسى جالسا أمام مكتب وزير الداخلية، منذ أيام قلائل كان زميلى فى الجريدة، وكان اختياره وزيرا للداخلية مفاجأة وانتهزت الفرصة وطلبت مقابلته فاستقبلنى بمودة وترحاب وعرضت عليه مطلبى وهو توصية لرجل أعمال معروف بصداقته له لاختيارى فى وظيفة معينة

فى شركة من شركاته، وكتب بخط يده التوصية المطلوبة وانتهت المقابلة على أحسن حال، وفى مساء اليوم نفسه وأنا أمشى على شاطئ النيل اعترضنى رجل ممن نسمع عنهم فى الصحف وأشهر علىّ سلاحا وسلب منى نقودى، كانت فى حدود خمسين جنيها .

رجعت إلى منزلى مضطربا ولكنى لم أتخذ أى إجراء يؤثر فى الميعاد الذى حدده لى رجل الأعمال، وعند الضحى كنت فى مكتبه وبعد دقائق سمح لى بالدخول فى مكتبه وقدمت التوصية، تجمدت فى موقفى وكانت لحظة غاية فى الحرج قلت فى نفسى «رباه . . . إنه اللص الذى سرقنى أو أخوه التوءم ودارت بى الأرض» .

حلم ٤٥

على سطح البحيرة ينطلق قاربى البخارى وذاك قارب آخر يتبعنى أو هكذا خيل إلىّ، وأسرع فيسرع وساورنى القلق، ولكن لماذا يتبعنى؟

ووجدتنى أقترب من مرسى فخم فرسوت وصعدت سلما إلى شرفة واسعة وعرفت أنها تتبع السفارة الروسية وكانت الشرفة مليئة بالمعزين الذين جاءوا يعزون فى وفاة فقيدة عزيزة .

وسلمت على السفير وجلست أسمع مايقال عن الفقيدة، وأنظر إلى البحيرة فلا أرى أثرا للقارب الآخر فاطمأن قلبى .

وقمت فى الوقت المناسب إلى قاربى وانطلق بى فى اتجاه الشاطئ الآخر ونظرت خلفى فرأيت القارب الغريب وهو ينطلق ورائى وكنت

بلغت وسط البحيرة فرأيت من الأفضل أن أسير إلى الشاطئ عن الرجوع إلى السفارة وقلت إنه عند الشاطئ تتضح حقيقة الموقف للمواجهة بكل قوة.

حلم ٤٦

جمعتنا حديقة. درج صاحبنا يغنى ونحن نسمع ونطرب ويعلو منا هتاف الوجد والاستحسان. وأزعجنا العباد فشكونا إلى الشرطة. ورأينا الشرطة قادمة، فتفرقنا لائذين بالفرار، جريت فى الاتجاه الذى اتفق وكلما نظرت خلفى رأيت الشرطى يجرى فى أثرى بكل قوة وإصرار، وظهر لى شخص يجرى أمامى وكأنه يفر منى، من يكون ذلك الشخص؟

ذكَّرتنى رشاقته وجميل قوامه بالحبيبة الغائبة.. اطَّرد الجرى. الشرطى يريد اللحاق بى وأنا أرى أن أهرب منه وألحق بالحبيبة، وهكذا صعدنا البرج وفوق سطحه منَّتنى النفس باحتضان حبيبتى ولكنها تخطت السور وهوت من ذلك العلو الشاهق إلى الأرض، ففقدت عقلى وزاد من تعاستى اقتراب الشرطى فوثبت من فوق السور وراء حبيبتى. توقعت أفظع ألم وكان لارتطامى بالأرض دوى مثل قنبلة لكنى لم أشعر بأى ألم، وقمت واقفا فى تمام الصحة تلفتُ فلم أجد لحبيبتى أثرا ونظرت إلى أعلى البرج فرأيت الشرطى يطل علينا وهو يغرق فى الضحك.

حلم ٤٧

فى الطريق لعب أمامى مجموعة من الصبية فشعرت أنهم يضمرون لى السوء، وعجبت لأنه لم يحصل بينى وبينهم ما يدعو إلى ذلك. وسرت فى حذر وأنا أتذكر بدهشة حالى عندما كنت فى سنهم.

ووجدت أمامى محلاً كبيراً يعد ليكون محلاً لبيع الحلوى كما فهمت من لافتته الكبيرة، وكان العمل على أشده فى إعداده فاقتربت منهم وسألتهم «هل ستقدمون ضمن الحلوى بقلاوة وكنافة؟» وكف العمال عن العمل واتجهوا بأنظارهم نحوى وعلى حين قهقه الصبية وصفروا، وجاء من أقصى المحل رجل بدا أنه صاحبه وسأل «هل حقا مازال يوجد أناس يحبون البقلاوة والكنافة؟» وسرت بين العمال همهمة وراح الصبية يرقصون ويصفرون ويكورون قبضات أيديهم فى وجهى..

حلم ٤٨

أقبلت فوجدت فى الحجرة الحرافيش وسألت عن الغائب الوحيد، فقالوا إنهم أرسلوا إلى الموسيقار سيد درويش فى طلب فرقة الباليه الجديدة، ولا أدرى كيف فسد الجو بينى وبينهم وتجهمت وجوههم جميعًا. وهممت بمغادرة المكان ولكن فرقة الباليه وصلت وفى الحال عزفت الموسيقى ودار الرقص وخف التوتر بيننا واندمجنا فى الرقص والنغم بل وصفت القلوب وانهالت علينا النشوات وغمرنا الحب والمودة.

وإذا بنا ننضم إلى فريق الراقصين والراقصات ونشارك فى الأناشيد والأغانى وتعاهدنا دون كلام على أن نؤرخ تلك الليلة .

حلم ٤٩

قصدت المبنى الأبيض الأنيق فى صدر البهو جلست السيدة الجميلة ، واجتمعنا إليها فراحت تتحدث عن شركة الإنتاج الفنى التى قررت إنشاءها ، ورحبنا بالشركة وصاحبتها ومضى كل منا يدلى برأيه فى الإنتاج والعمل ، ولم نختلف إلا حول الأجور ، فقد كان رأيها أن يحدد الأجر تبعا للاتفاق معها ، وكان رأيى الذى أيده البعض أن يحدد الأجر بنسبة ثابتة من تكاليف الفيلم أو المسرحية ، وأجلت المناقشة إلى جلسة أخرى ، وقلت لزملائى إن الأخذ برأيها يجعلنا تحت رحمتها ، وإن النسبة توضح الأمر وتغلق الباب أمام الانتهازية .

ودعتنا السيدة مع آخرين للعشاء ، وبعد العشاء أقيمت حفلة موسيقية ، وما ندرى إلا والسيدة تتجرد من ثيابها وترقص عارية وبصورة غاية فى الإثارة .

واستقر رأيى بصفة نهائية ، قررت أن أبتعد عن الشركة وصاحبتها .

حلم ٥٠

كنت أتطلع إلى امرأة فاتنة تسير فى الطريق ، فاقترب منى بجرأة وهمس فى أذنى إنها تحت أمرى إذا أمرت ، كان برّاق العينين منفرا ولكنى لم أصده ، واتفقنا على مبلغ وأصرّ على أن يأخذ نصفه مقدما

فأعطيته النصف، وضرب لى موعدا ولكن عند اللقاء كان بمفرده واعتذر بتوعك المرأة وكان على أتم استعداد لرد المقدم ولكنى صدقته وأبقيته معه، وكان يقابلنى فى حلى وترحالى ويطالبنى بالصبر. وخشيت أن تسيء هذه المقابلات سمعتى فأخبرته أننى عدّلت عن رغبتى ولن أسترد المقدم ولكن عليه ألا يقابلنى، ولم يعد يقابلنى ولكنه كان يلوِّح بها فى أكثر الأماكن التى أذهب إليها.

وضقت به كما كرهته وقررت الانتقال إلى الإسكندرية، وفى محطة سيدى جابر رأيته واقفا وكأنه ينتظر.

حلم ٥١

وقف القطار دون وجود محطة فتساءلتْ صاحبتى عن السبب ولكنى لم أدر كيف أجيبها، وإذا بكتائب من الجيش تطوِّقه وتقتحمه شاهرة أسلحتها وساقت إلى الخارج كثيرين من ضباط الجيش الذين كانوا بالقطار وعددا محدودا من المدنيين، وقُبض علىَّ فيمن قبض عليهم فتركت صاحبتى منزعجة خائفة، وجدنا أنفسنا فى صحراء. أمرنا الجنود المسلحون بخلع بدلنا والبقاء بملابسنا الداخلية، ولكنهم وضعوا العسكريين فى ناحية والمدنيين فى ناحية، وأخذنا نتهامس أننا ضعنا وانتهى الأمر.

وجاء قائد الجنود ونادى علينا كل واحد باسمه.

وتساءل صوت منا: هل تقتلوننا بلا محاكمة؟

فأجاب القائد بصراحة: الأمر لايحتاج إلى محاكمة.

وتحرك القطار فتذكرتُ صاحبتى.

حلم ٥٢

دُعينا إلى اجتماع فى حديقة الأزبكية، وهناك طرح علينا اقتراح بتكريم أستاذنا الجليل بمناسبة مرور مائة عام على مولده ولم يتحمس أحد ولكن لم يُبد أحد منا اعتراضه، واتُفق على أن يتم التكريم فى وزارة الخارجية التىَ قضى فيها زهرة عمره وأنجز أكبر مآثره.

وفى اليوم الموعود ذهبت مبكرا لأتفقد المكان واتجهت من فورى إلى البهو المختار، كان أنيقا مهيبا كعادته ولكنه ازدان هذه المرة بوجود الفتيات الحسان اللائى عشقهن على مدى العمر.

جئن فى زى موحد ليقمن بالخدمات المطلوبة وقد اكتسين برونق الشباب الريان، خفق قلبى بشدة وتحيرت بين نداءات الحسن وجاء قلبى بأقصى قدراته من الحب، وجاش صدرى بالمعانى التى سألقيها فى خطاب التكريم.

حلم ٥٣

سألت عن صديقى فقيل لى إن الموسيقار الشيخ زكريا أحمد يسهر فى بيته كل ليلة شاديا بألحانه حتى مطلع الفجر، فقلت يا بخته ودُعيت لحضور سهرة فذهبت إلى الحجرة الواسعة المزخرفة جدرانها بالأرابيسك.. ورأيت الشيخ زكريا جالسا على أريكة محتضنا عوده وهو يغنى «هوه ده يخلص من الله» وفى حلقة جلست الأسرة نساء وأطفالا وبينهما رجل معلق من قدميه وتحت رأسه على مبعدة ذراع طست ملىء بمية النار.

ذهلت .

وضاعف من ذهولى أن الجميع كانوا يتابعون الغناء دون أدنى التفات إلى الرجل المعذب .

حلم ٥٤

فى الحجرة المغلقة دار الحوار بينى وبين المذيعة وكان الحديث عن الموسيقى المحلية والأجنبية ، وعند بعض مراحل الحوار أقوم للبيانو وأعزف عليه بعض الألحان ، وكلما مر وقت فُتح الباب ودخلت سيدة من أهل البيت لعلها أمى أو أخرى فى منزلتها ، تقدم مشروبا وتذهب ولكن وضح لنا أنها كانت تراقب خلوتنا بريبة .

وضقت ذرعا برقابتها فعزمت على تحدِّيها بصورة غير مسبوقة فما أن سمعت صوت الباب وهو يفتح ، حتى اندفعت نحو المذيعة وضممتها إلى صدرى .

ولم أعد أبالى شيئا كما لم أجد غضاضة ما ، ولما انتهيت من التحدى كانت المرأة قد اختفت من الحجرة بل ومن البيت كله .

حلم ٥٥

تحتدم المناقشة بين امرأة ورجل وأبنائهما الخمسة حول حق الأم التى تجاوزت الستين فى الحب والحياة .

وتخطت المناقشة الأسوار فصارت حديث الجيران .

يقول البعض إنه حب زائف من عجوز وشاب فى سن أبنائها طمعا فى المال الذى ورثته عن زوجها، ويقول البعض إنه ليس للإنسان إلا ما يقدر له من الحياة والحب خاصة، حتى ولو أدى ذلك إلى دفع الثمن غاليا. وبدا الأمر فى نظر الشبان الخمسة مصيبة لها. وكان ما كان من قتل الأم البائسة ووقف الأبناء الخمسة فى قفص الاتهام، وتوزعت التهمة عليهم من التنفيذ للمشاركة للتخطيط.

وكان التحقيق فيها والمرافعات حامية وإذ كانت مفرداتها الأمومة، والبر، والشرف، والسمعة، والتقاليد، ومازلت أذكر وجوههم وأقوالهم كما مازلت أذكر المرحومة أيام كانت تتحدى العمر والألسنة وتسير متبرِّجة تتبختر.

حلم ٥٦

غادرت البيت الكبير الذى ننتظر فيه كل رجل بذاته فلا يعرف أحد من الآخرين، وشعرت بشىء من الأمان بعد القلق.

غير أن شعور الأمان لم يدم طويلا، فخُيِّل إلىَّ أن آخرين يتبعوننى، ونظرت خلفى فرأيت عن بعد جماعة قادمة ملوِّحة بأيديها فى الهواء. فأوسعت الخطى حتى أخذت فى الجرى، ورأيت فى الطريق بيتا، وكان هناك من يدعونى فهرعت من فورى إليه ووجدت أهله وكأنهم عائدون من الخارج فهم ينظمون الأشياء ويزيلون عنها الغبار، ولم يدهش أحد لحضورى أمامهم فنظروا لوجهى وكانوا ودودين فى وجوههم وأحاديثهم وابتساماتهم ونسيت فى تلك اللحظة الزاحفين ورائى.

حلم ٥٧

درت حول الحصن مرتين . . حصن حجرى نوافذه صغيرة كالثقوب ، ومن كل نافذة يطل وجه أعرفه بل وأحبه . . البعض طال غيابه والآخر رحل عن دنيانا من أزمنة مختلفة ، فنظرت بشوق وأسى وخيِّل إلىَّ أن كل وجه يسألنى من أعماقه أن أحرره ، ونظرت إلى باب الحصن الحجرى بلا أمل ، ثم ذهبت إلى دار السلطة وطلبت العون ، وغادرتها مجبور الخاطر قابضا على عمود من الصلب ، ورجعت إلى الحصن ، ولوّحت بالعامود فتهللت الوجوه واصطفت على الباب وضربت ضربة هائلة فتحطم وتهاوى ، واختفت الوجوه من النوافذ وتعالى هتاف فرحة وسرور ، ووقفت خافق القلب منتظرا لقاء الأحبة بلهفة وشوق .

حلم ٥٨

أخيرا جاء الترام الجديد وأصبح درة المواصلات فى حى العباسية وكنت من أول من استقلوه وجذبتنى إليه ألوانه الخضراء والبيضاء وزخارف جدرانه وفخامة مقاعده ، كنت أقعد وأقف وأنا أتعجب من جماله ، وأقول لنفسى هذا متحف جميل لا ترام ، ولكنى لاحظت مع مرور الزمن أن سلوك ركابه دون مستوى جماله بكثير .

والحق أنى رأيت أفعالا يندى لها الجبين خجلا ، ويوم رأيت شابا من الخواجات ينقض على طفلة يريد أن يلتهمها ولكنى حلت بينه وبينها مذكِّرا إياه بأنها طفلة ، وقبل أن يشتبك معى صعدت سيدة جميلة

فى أواسط العمر فهرع الشاب إليها وهو يهتف «I love you» وقالت السيدة إنها راجعة لتوِّها من أوروبا، حيث شاركت فى الاحتفال بظهور سيرتها الذاتية وعرضت علينا نسخة فإذا على الغلاف صورة امرأة عارية تمامًا!

حلم ٥٩

إنه عجيب لطول قامته . . عجيب فى سلوكه، أما عن قامته فهى مثل مئذنة الزاوية، وأما عن سلوكه فإنه يعترض سبيل من يختار من أهل حارتنا، ويحنى قامته المديدة حتى يوازى وجهه وجهه، ويتفرس فى أساريره بإمعان، كأنما يبحث عن سر دفين، ويمضى بعد ذلك نحو المقصد حتى يختفى عند المنحنى . . وتلقاه الناس بدهشة واجمة وامتعاض شديد، بل إن أحدهم تبعه عن بعد ليكشف أمره، ولما طالت غيبته خرجت جماعة من الأهل والجيران للبحث والاطمئنان ولكنها رجعت مخيبة الرجاء.

عند ذاك جاء دور شيخ الحارة، فنهض ليؤدى واجبه ورجع الرجل جريح الكبرياء، وانقلب الحادث إلى حكاية على كل لسان، وكثرت حوله الأفكار والظنون، ولكن بلا جدوى فطواه النسيان أو كاد.

وذات يوم كان شيخ الحارة يسامر إمام الزاوية؛ إذ شعر بوجود يحل فى وجوده، ورأى أمره العجيب بل ولمح قبسا من سره الذى حيّر الناس، وقرر فى الحال القبض عليه، وأذاع ما عرفه من سره على الملأ.

وهم بالقيام ولكن خانته قواه جميعا، فلم يستطع أن يتحرك ولم يستطع أن ينطق.

حلم ٦٠

دققت جرس الباب، ففتح عن ثلاث فتيات يقينا أنى لا أعرفهن لكننى شعرت بأننى لا أراهن لأول مرة، سألت عن السيدة صاحبة الشقة فأجبن بأنها مازالت فى الحج ولم يعرفن بعد ميعاد عودتها. وسرن بى إلى حجرات الشقة، وعند فتح كل باب أرى جماعة حول مائدة مستديرة غارقين فى مناقشة حادة ولكنى لم أعرف أى موضوع يناقشون، من اختلاط الأصوات وتداخلها. ولم أرغب فى الدخول فى أى غرفة مفضلا انتظار السيدة صاحبة الشقة، ولفتت نظرى إحدى الفتيات بأن السيدة سوف تتأخر بضعة أيام ومن يأسى أجبتها ـ بعد أن اشتركت فى المناقشات دون جدوى ـ أننى أفضل انتظار عودة السيدة.

حلم ٦١

وصلتنى دعوة عشاء فى بيت قريب عزيز، ولما اقتربت من الباب رأيت أفواجا من المدعوين يدخلون، فأدركت أن الدعوة عامة، ورأيت بين القادمين نخبة من جيل أساتذة وأخرى من جيل الزملاء. وتبادلنا التحية وبعض الكلام.. كان مما أجمعوا عليه أنهم يقيمون الآن فى قرية كرستوفر وقالوا الكثير عن جمالها وتفوقها على جميع القرى السياحية، دخلنا وتفرقنا بين الموائد، وكانت جلستى أمام مائدة صغيرة عارية من كل شىء فلا مفرش ولا طبق ولا أدوات طعام وقبل أن أفيق من دهشتى رأيت شكوكو قادما نحوى، قابضا على فخذة خروف محمرة، وسلمها لى يدا بيد وذهب وهو يضحك، صعقت واستأت ولكنى لم أر

بُدا من قطع اللحم بأصابعى لأتناول طعامى غير أننى كنت أفكر طيلة الوقت فى كرستوفر . . .

حلم ٦٢

أخيرا عثرت على الصورة القديمة العزيزة بين الأشياء القديمة . ولكن فرحتى لم تتم ؛ إذ سرعان ما تبين لى أن الصورة تهرأت بمرور الزمن عليها وطمست ملامح الأعزاء فلم يبق منها بقية تذكر .

وبقدرة قادر وجدت نفسى فى بهو مصلحة حكومية وبيدى ملف خدمة موظف يتتبع خطاى ويطالب بالإنصاف ، وأدركت بخبرتى أن الموضوع من اختصاص إدارة المستخدمين .

وبحثت فلم أجد لها أثرا وفيما أمر أمام حجرة المخازن فتح الباب وخرج منه زميل توفاه الله منذ شهر ، خطف الملف من يدى ورجع الى المخازن وهو يؤكد أن الموضوع من اختصاصه ، وأنسانى مظهره المهمة التى كانت تشغلنى .

حلم ٦٣

هذه أرض خضراء يحيط بها سور متوسط الارتفاع ، لكنه كاف لإخفاء مايجرى داخله عمن فى الخارج ، وتنطلق من وسطها مسلة طويلة فى رأسها علم ، أما سطحها فيمرح بالشباب والحركة ، خلت بادئ الأمر أننى فى ناد رياضى ، ولكن بعد أن أمعنت البصر غلب على ظنى أننى فى سيرك ، فهنا جماعة تسير على أربع ، وهنا فريق يتبادل أفراده الصياح والركل ، وفريق آخر يتعاقب الحركة ويتبادل الشتائم ، أما

البقية من الشباب فتشدو بألحان لم يسمع مثلها ، وأردت أن أزداد علما فوجدتنى خارج السور ، فى مدينة كبيرة يشقها شارع عملاق تتكتل الجماهير على جانبيه خارج السور ، وهى تهتف متطلعة إلى العلم فى رأس المسلة ، وأخيرا فتح الباب الكبير ، وتهادى منه الموكب ، عربة إثر عربة ، وفى كل عربة شاب يجلس جلسة ملوكية ، ينظر إلى الناس من عل ، ويرد تحياتهم باستعلاء واستكبار .

حلم ٦٤

من شدة الرعب تسمرت قدماى فى الأرض فعلى بعد ذراع منى شبت ثلاثة كلاب ضخمة متوحشة تريد أن تنقض علىّ ، لتفتك بى لولا أن قبضت على أذيالها امرأة باستماتة .

وإلى اليمين وقفت كلبة فى ريعان الشباب ، آية فى غزارة الشعر وبياضه ونعومته ، وكانت تشاهد مايحدث فى قلق تجلى فى اهتزازات ذيلها القصير المقصوص .

وارتفع نباح الكلاب الثلاثة وتتابع كالرعد واشتعلت فى أعينها الرغبة المتأججة فى الفتك بى ، ولما تعذر عليها الوصول إلىّ استدارت فجأة ووثبت على المرأة ، وعند ذاك اقتلع الرعب قلبى وارتمت علىّ الكلاب ، أما الكلبة الجميلة فتطلعت لى مدة وترددت لحظة عابرة ثم ألقت بنفسها فى المعركة دون مبالاة بالعواقب .

حلم ٦٥

انقضى العام الدراسى وأعلن عن يوم الامتحان، ولم نكن فتحنا كتابا ولا حفظنا جملة توجب التفكير فيما ينبغى عمله، وثمة قلة كانت ماتزال تحتفظ بشيء من الاحترام لما هو معقول فقررت الامتناع عن حضور الامتحان، أما الأخرى كانت مولعة بالعبث واللامعقول فانتهزت الفرصة المتاحة وعزمت على حضور الامتحان، وفى الصباح الموعود انتظمنا الصفوف ولبسنا أقنعة الجدية والاهتمام، وإذا برئيس اللجنة يقوم ويقول بصوت جهورى إنه سيوزع علينا ورقتين إحداهما تحوى الأسئلة والأخرى تحوى الإجابات الصحيحة. وذهبنا حقا فلم نكن نتصور أن بين أساتذتنا من يفوقنا فى حب العبث واللامعقول.

حلم ٦٦

تم التفاهم بينى وبين المالك ودعانى الرجل لمعاينة ما تم التفاهم عليه أرانى شقة ممتازة وزوجته الحسناء وابنها وهو طفل فى الثالثة، وطابت نفسى بما رأت وتحدد موعد الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى للتسليم والتسلم، لكنى فى الحقيقة لم أستطع صبرا.

ودفعتنى قوة لا تقاوم للذهاب إلى الشقة، فإذا الذى فتح لى الباب هو المالك نفسه، ولما رآنى ثار غضبه وصفق الباب فى وجهى بغضب، ارتجت له الجدران وبت ليلة مسهدة أتساءل بقلق بالغ عن الصفقة والمصير.

حلم ٦٧

بناء كبير ستجده، فى الأصل كان مبنى الوزارة التى كنت موظفا بها ولما رأيت الشباب يعود إليها، راودتنى نفسى على ارتيادها. فى الداخل قابلت نفرا من الزملاء القدامى فانشرح صدرى للقائهم وسرنا من حجرة إلى حجرة ومن ذكرى إلى ذكرى حتى بعثنا الماضى من مرقده. ومررنا بسلم واسع عجيب فصعدت من فورى إلى الطابق الثانى، هناك رأيت شبابا كثيرين كلما رآنى أحدهم تجهم وجهه، وألقى علىّ نظرة مستنكرة. انتفض قلبى وشعرت برغبة فى التبول، وبحثت هنا وهناك حتى استقرت عيناى على لافتة ترشد إلى دورة مياه فى ممر بين الحجرات، فهرعت إليه ولكنى وجدت عمالا عاكفين على إنجاز مشروع لم يتم تنفيذه، لايصلح للاستعمال رجعت من حيث أتيت، وسرعان ما اكتشفت بأنه لا سبيل إلى الفرج إلا بالعودة إلى الطريق.

حلم ٦٨

ما أجمل هذا المكان، إن سماءه وأرضه وما بينهما تتألق بلون الورد الأبيض، وجوه آية فى النقاء والصفاء، أما معجزته الحقيقية فهى أنه جمع أصدقاء العمر الأحياء منهم والأموات دون أن يثير ذلك دهشة أحد، فلا نحن سألناهم عما وجدوا فى العالم الآخر ولاهم سألونا عما حدث فى الدنيا عقب رحيلهم.

ولكننا انغمسنا جميعا فى اللهو متمنين أن تدوم الحال، غير أن الحال لم تدم إذ هبطت من السماء سحابة سوداء، حتى ساد الظلام وفرق بيننا

وانهمر مطر مثل الشلالات وتتابع البرق والرعد دون هدنة حتى بلغت القلوب الحناجر.

وهنا تسلل لأذنى أصوات بعض الأصدقاء.

قال الأول: «إنها النهاية».

وقال الثانى: «إنى لمحت عند الأفق قبسا من الفرج».

وقال الثالث: «مهما يكن من الأمر فلا مفر من الحساب».

حلم ٦٩

هذه غابة تتوسطها هضبة هرمية الشكل، يصعد إليها من خلال ممرات حجرية مدرجة مزينة بصفوف النخيل وأحواض الزهور وجواسق العاشقين، خلوت إلى صاحبتى.

وسبحنا معا فى مناجاة غيبت عن وعينا الوجود، وبغتة انتفضت صاحبتى واقفة وفى غمضة عين غادرت الجوسق، وقمت لألحق بها وأطمئن عليها فاعترضنى صوت كالرعد ينطلق من مكبر صوت ويحذر الناس من وجود قنبلة زمنية ويدعوهم إلى مغادرة الهضبة بلا إبطاء ولا تردد. واندفع الناس نحو الممرات الحجرية وأنا أتلفت، وجمعنا رجال الأمن فى موضع على بعد آمن، وبحثت عن صاحبتى فلم أعثر لها على أثر ترى أين اختفت؟ وهل ثمة علاقة بينها وبين الجريمة؟ وألا يجرنى ذلك إلى الاتهام رغم براءتى؟

وسمعت أقرب الواقفين إلىَّ وهو يقول لصاحبته إن قلبه يحدثه بأن المسألة ليست أكثر من بلاغ كاذب، وسألت الله أن يصدق حدس الرجل ولكنى لبثت ممزقا من التفكير فى صاحبتى وتوقع الانفجار!

حلم ٧٠

نادانى الشوق لرؤية الأحباب فتوجهت صوب الحى العتيق. وكالعادة قطعت الطريق مشيا على الأقدام، حتى بدا لى البيت القديم وذكرياته، ولم أضيع وقتا فأخذت فى الصعود نحو الطابق الثالث والأخير، ولكن دهمنى إرهاق غير يسير عند منتصف السلم جعلنى أفكر فى تأجيل الرحلة لولا أن طبعى يأبى التراجع، وبجهد جهيد واصلت الصعود حتى بلغت البسطة الثالثة، ومن موقفى الجديد لاح لى باب الشقة غارقا فى الصمت والسكون، فعلمت أنه لم يبق من الصعود سوى عشر درجات هن ختام السلم لكنى لم أر درجة واحدة، ووجدت مكانها هوة عميقة فخفق قلبى خوفا على آل البيت.

ومع أن الوصول بات متعذرا إلا أنى لم ألتفت إلى الوراء، ولم أفكر فى التراجع، بل ولم أفقد الأمل، وجعلت ألصق بصرى بالباب الغارق فى الصمت والسكون وأنا أنادى، وأنادى، وأنادى من الأعماق.

حلم ٧١

كان أجمل ما فى عهد شبابنا صديقًا نادر المثال، آية فى خفة الروح وحلاوة النكتة ورشاقة القفشة وبراعة القافية وثراء الحكايات، والنوادر وإلى ذلك كله لم يكن يضن علينا عند الطلب بالغناء والرقص وسائر فنون اللهو. هكذا أمتعنا دهرا حتى وقع عليه الاختيار لشغل وظيفة مرموقة عرفت فى بلادنا بالجلال والوقار، وتوجسنا خيفة وسرعان ما

تحقق تخوفنا فقال لنا وكأنه يرد علينا إنه قرر تغيير حياته من الألف إلى الياء ولم يراجعه أحد وسلمنا أمرنا لله .

وكان إذا قابلنا فى مناسبة حيّانا بوقار شديد يعمق شعورنا بالغربة والأسى .

ووهنت العلاقة الحميمة وقاربت التلاشى ، ولم نعد نسمع عنه إلا فى نشرة التنقلات والترقيات ، وأخذنا نتناسى حتى نسيناه أو كدنا . وباعد الزمن بيننا وبينه حتى شاء القدر أن نلتقى على غير ميعاد ، ذلك عندما احتفلت البلاد بعيدها القومى الجديد ، خرجنا للمشاركة والفرحة .

وعزفت الموسيقى النحاسية ودقت الطبول ، وتقدمت فرقة من الجيش تبعتها فرقة من الشرطة تبعتها سيارات الصفوة وهنا طالعنا صديقنا القديم ولكن على حال لم تجئ لنا فى خاطر ، رأيناه يمتطى حمارا ، ويتجلى التناقض صارخا بين تفاهة موكبه وفخامة ملبسه . وكان يثير الضحك أينما ظهر ، لكنه والحق يقال لم يلتفت يمنة ولا يسرة ، ولا حاد شعرة عن وقاره .

حلم ٧٢

امتلأ البيت القديم بالعباسية بالطيور المهاجرة من الإخوة والأخوات فى اليوم المتفق عليه لزيارة الوالدة ، وطلبوا منى إعداد أكلة سمك من سمَّاك العباسية المشهور ، ذهبت من فورى إلى المطعم وطلبت الطلب ووجدت جميع الموائد مشغولة إلا المائدة التى تلى الباب مباشرة فذهبت إليها وجلست فى طرفها أنتظر ، وجاءت سيدة فى الستين مصطحبة

معها فتاة فى العشرين وجلستا إلى المائدة. وجاء النادل بالأطباق والطواجن، وعلى خلاف المعهود دعتنى السيدة لمشاركتهما فى الطعام، وبخلاف المتوقع لبيت الدعوة صامتا وبدأت فى تناول الطعام، وسرعان ما جاء النادل باللفافة المعدة للمنزل فتناولتها وانسحبت من المائدة دون اعتذار أو شكر وخرجت من المطعم فرأيت على بعد ذراع صديقى المرحوم (ع. ش) وسررت برؤياه سرورا كبيرا. وعلى سبيل المجاملة قدمت له اللفافة لكنه أخذها بلهفة ومضى دون أن ينبس بكلمة إلى باب مفتوح فدخله وأغلقه، دهشت بتصرفه ولكنى لم أجد مناصا من تجديد الطلب فرجعت إلى المطعم وجددت الطلب. وكان النادل يحمل الحلوى إلى السيدة والفتاة، ودعتنى للمشاركة فذهبت دون تردد، وهنا قالت السيدة إنها ترغب فى الذهاب إلى شارع بين السرايات ولكنها لاتدرى كيف السبيل إليه، فتطوعت بتوصيلها وسار ثلاثتنا فى شارع العباسية، وتم التعارف بالشكر وتنوع الحديث بنا حتى أنى مررت بشارع بين السرايات دون أن أنتبه لذلك. كما نسيت الطعام الذى يجهز لى فى المطعم، كما نسيت المنتظرين والمنتظرات فى البيت القديم بالعباسية.

حلم ٧٣

وجدتنى فى البيت القديم بالعباسية، ويبدو أننى كنت متكدر المزاج فلم يسلم من نقدى شىء، مثل طلاء الجدران وخشب الأرضية والأثاث حتى جاءنى صوت أمى من أقصى الشقة وهو يقول بنبرة باسمة لطيفة إنه آن الأوان كى أبحث بنفسى عن شقة جديدة تعجبنى. وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتنى فى بهو متعدد الحجرات والأشخاص، يوحى منظره بأنه مصلحة حكومية، وأكد

ذلك مجيء زميلى المرحوم (ح. أ) ليخبرنى بأن الوزير أرسل فى طلبى، وذهبت من فورى إلى حجرة الوزير، واستأذنت ودخلت، رأيت الوزير على غير عادته من البشاشة، وقال لى إنه حلم بنقدى للثورة وزعيمها فساءه ذلك فقلت له إنى أعتبر نفسى متيَّما بمبادئ الثورة ولم أكن من رافضيها، غير أنى تمنيت دائما لها الكمال وتجنب العثرات والنكسات وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتنى صبيا يتجول فى ميدان بيت القاضى، وجاءنى صديق فى مثل سنى يدعونى لحضور حفل زفاف شقيقه الأكبر، وقال إن شقيقه دعا سعد زغلول ليشرف الفرح ويباركه وأنه قبل الدعوة ووعد بالحضور. فدهشت دهشة كبرى وقلت له بأن سعد زغلول هو زعيم الأمة فضلا عن أنه اليوم رئيس وزرائها، وأنت لست من أقربائه ولا من زملائه فى جهاده، فقال إن سعد هو زعيم الأمة حقا ويخص البسطاء بوافر الحب وإننى سوف أرى.

وفى الميعاد ذهبت إلى الحفل فى درب قرمز ومضى بى صديقى إلى حجرة فرأيت فى الصدر سعد زغلول فى بدلة التشريفة يجلس بين العروسين ويتبسط معهما فى الحديث ويشاركهما فى الضحك، بهرت بما رأيت انبهارا استقر فى أعماقى..

حلم ٧٤

هذا ملعب كبير حل محل بيوت الجيران فى الجانب المقابل من الطريق يملأه الجنود البريطانيون، فيغنون ويرقصون... ونحن نتابعهم بدهشة وقلق، ثم ينتشرون فى شارعنا والشوارع المتفرعة منه.

وتشاورنا فى الأمر واستقر رأينا على الانتقال إلى حى آخر، ولما لم نجد بيتًا مستقلاً رضينا بشقة فى عمارة ضخمة ولم نضن بجهد حتى جعلناها صالحة للمعيشة؛ وما كدنا نركن إلى شىء من الراحة حتى سمعنا صوت خرفشة مما يصدر عادة عن الفئران فتعكر صفو راحتنا. . وقبل أن نفكر فى شىء ينبغى عمله سمعنا طرقات الباب الخارجى، ولما فتحت الباب رأيت كثرة من الرجال المسلحين بالعصى، قالوا إنهم سكان العمارة يطاردون لصًا يظنون أنه تسلل إلى شقتنا واقتحموا الشقة وتفرقوا فى الحجرات وأحدثوا جلبة مزعجة، ولكنهم أعلنوا أنهم لم يعثروا على اللص، وغادروا المكان بعد أن قلبوه رأسًا على عقب، بل واكتشفنا اختفاء اللص المتخفى، وبينما نحن نتبادل النظر فى غيظ وضيق إذ سمعنا من جديد صوت الخرفشة. . فثرت غضبًا وقلت ليكن فأرًا أو لصًا أو عفريتًا فلن أفتح الباب للطارق.

حلم ٧٥

أمى ترحب بجارة عزيزة وكريمتها الحسناء فى حجرة المعيشة بالدور الثالث فى بيتنا القديم، ودعيت للجلوس معهن ثقة فى الألفة بين الأسرتين.

وفى أثناء الحوار استرقت إلى الفتاة نظرة واسترقت إلىّ نظرة دون أن يغيب هذا عن أم الفتاة، فلما ذهبت فى الابتعاد عن الغرفة همست لنا الجارة أن انزلا إذا شئتما إلى الدور التحتانى الآن كعادة أهل البيت، وتلقيت الدعوة بذهول وبفرح شامل، وما أن دخلنا الدور التحتانى حتى جذبتها إلى صدرى، ولكنى لم أخط الخطوة التالية لسماع ضجة غريبة واقتحم المكان نساء ورجال وشباب، وتفرقوا فى الحجرات؛ ثم

جاء رجل من رجال الأمن ووقف عند الباب زاعمًا الحفاظ على القانون، وكدت أفقد عقلى من الذهول وضاعف من ذهولى أنى رأيتهم يغنون فى حجرة، كما رأيتهم يرقصون فى حجرة أخرى، ونظرت إلى فتاتى مستغيثًا بها فوجدتها هادئة باسمة. . وعند ذلك قررت الهرب، غير أنى رأيت رجل الأمن عند الباب فتسمرت فى وضعى فريسة للذهول وخيبة الأمل.

حلم ٧٦

هذه شجرة مورقة يجلس تحتها صديق الشباب وشهيد الوطنية. . وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على رحيله فإنه بدا أنيقا فى صحة وعافية، فانشرح صدرى لمرآه وهرعت إليه ولكنه أوقفنى بإشارة من عصا بيده، ذكرته بعهد الصداقة فلم يعبأ بكلامى وقال إنه لم يعد يستطيع صبرًا مع تل القمامة.

قال ذلك وألقى عصاه ثم ذهب، التقطت العصا وأنا حزين ولكنها نفخت فىّ روحًا جديدة فانطلقت من فورى إلى تل القمامة وانهلت ضربًا على أطرافه وكل ضربة أحدثت شقًا، ومن كل شق يخرج رجال ونساء ليسوا على شاكلة جامعى القمامة ولكنهم آية فى النظافة والوجاهة والفخامة، وكلما لمح أحدهم العصا بيدى فر يركبه الفزع عند ذلك رسخ يقين بأن الشمس ستشرق غدًا على أرض خضراء وجو نقى.

حلم ٧٧

انعطفت إلى الشارع الجانبى الهادئ حاملاً حقيبتى بيدى، وسرعان ما تلقيت من الطريق سيلاً من الذكريات والأشواق المحفوفة بالقلق والخوف.

وتوقعت عتابا على غيبتى غير القصيرة واستعددت له بالمعاذير المناسبة.

وبلغت مدخل العمارة، فلاح لى باب فى الشقة الأرضية على بُعد أربع درجات من السلم. وضغطت على الجرس متطلعًا بوجه باسم. وفتحت الشراعة عن وجه رجل غريب فى جلباب منزلى يوحى بأنه صاحب المكان وفجأة هوى وجدانى الملتهب إلى قاعة بحيرة جليدية وفكرت بسرعة فى اختلاق كذبة تنتشلنى من ورطتى فادعيت أنى تهت وأبحث عن سكن فلان افندى المدرس وأننى ضللت العمارة.

فقال الرجل وهو يتفرس فى وجهى بارتياب وتحفز :

ـ هذه شقته وهو فى الداخل فمن حضرتك لأبلغه؟

وأدركت أننى انكشفت وخرست مبهوتًا فارتفع صوت الرجل وهو يقول :

ـ ما أنت إلا كذاب وفاسق مثل جميع من جاءونى قبلك.

ولم أطق المزيد فهرولت نازلاً وكدت أفقد توازنى فسقطت الحقيبة من يدى وانفتحت فظهر داخلها زجاجة نبيذ وكيلو كباب فى طبق من ورق، ولكنى لم أكن أفكر إلا فى أمر واحد وهو أن أختفى فى سرعة البرق.

حلم ٧٨

يا لها من جنازة كبيرة، لا أدرى كيف انضممت إليها، فإنى لا أعرف أحدا من المشيعين، بل لا أعرف الميت، والأغرب أن الجنازة سلكت طريقا لم تسلكه الجنازات من قبل، فقد اتجهت نحو شبكة من قضبان السكة الحديد، وعبرنا بها إلى الخلاء حيث توقفت عن السير طلبا للراحة، على حين واصلت القطارات سيرها نحو الشمال ونحو الجنوب وعلا جدل بين الملتفين حول النعش، فريق يرى أن يحمله إلى الجنوب، وفريق يريد أن يحمله إلى الشمال، وكلا الفريقين يزعم بأنه ينفذ وصية الراحل، وصاح أحد العارفين يذّكر القوم بأن الراحل ولى من أولياء الله الصالحين. وأنه لن يسمح لأحد بحمله إلى جهة لا يرضاها، وأمّن القوم على قوله، وجرب فريق الجنوب حظه ولكنه عجز عن حمل النعش وجرب فريق الشمال حظه أيضا فمنى أيضا بالفشل، عند ذاك أدرك الجميع أن ولى الله يأبى أن يغادر الموقع الذى هو فيه وسط بين الجنوب والشمال.

حلم ٧٩

جلست فى شرفة الفندق الصغير المطلة على البحر، غاب عنى المنظر الجميل لشدة استغراقى فى انتظار فتاتى، ولما طال الانتظار جاءنى مدير الفندق وهو أيضًا صديق صباى واقترح علىّ أن أعالج حالتى بالمشى، ذهبت إلى الشاطئ، ورحت أسير ذهابا وإيابا، وإذا بى ألمح فتاتى فى سباق سباحة مع نفر من الشبان أحدهم مضى بها إلى الصخرة ليستريحا

بعيدا عن الأعين، تلقيت طعنة فى القلب وغرقت فى إحباط لا قرار له وأدركنى المدير الصديق وقال :

ـ هذا هو حال الدنيا فلا تستسلم للحزن .

فقلت له :

ـ أنت تعلم أننى عرفت أشياء كثيرة ولكنى لم أتعلم السباحة . وأخذنى إلى ركن هادئ فى حديقة الفندق . وبقيت ساعة فى غم وهم، وإذا بمفاجأة غير متوقعة بحال رأيت فتاتى تقبل نحوى متهللة الوجه بالسعادة، وتوثبت لإفراغ شحنة من غضبى، وإذا بى أتلقى مفاجأة جديدة غير متوقعة وغير مفهومة وتستعصى على أى إدراك . فقد غمرتنى بغتة فرحة شاملة مسحت عن صدرى الأحزان كلها وكأن ما كان لم يحدث، وهكذا تقابلنا كما نتقابل كل مرة، وذهبنا للتجول فى المدينة كالعادة، ولما مررنا بمحل بيع الهدايا دخلنا دون تردد واتجهنا إلى القسم المخصص لهدايا الخطوبة والأفراح . وقلبت فتاتى عينها فى الهدايا التى لا تحصى وقالت :

ـ ليس لدينا من الوقت مايكفى .

فقلت ببراءة : لدينا وقت يكفينا للأبد .

حلم ٨٠

جمعتنا الحجرة القديمة أنا وأمى وأخواتى الأربع وما أن أغلق الباب علينا حتى تصاعدت الشكوى من الزمان والناس، فأقبلت أمى علىّ قلقة وأقسمت بكل يمين أنه ما من قول قالته أو فعل فعلته إلا بدافع الحب الخالص فتساءلت أصوات : إذًا كيف حدث ما حدث؟

فقالت أمى بعتاب : عليكم أن تحاسبوا أنفسكم أيضًا وألا تقولوا معى إنه المقَدَّر والمكتوب .

حلم ٨١

أخيرًا ذهبت إلى القصر ورجوت البواب أن يبلغ الهانم أن الفائز بجائزتها حاضر ليقدم الشكر بنفسه إذا تنازلت وسمحت بذلك . ورجع الرجل بعد قليل وتقدمنى إلى بهو راعنى جماله وضخامته ولم تلبث أن عزفت الموسيقى لحن الإقبال فأقبَلت الهانم تتهادى فى أبعادها الفتَّانة فقمت لألقى خطاب الشكر ولكنها بحركة رشيقة من يديها كشفت عن ثدييها وأخذت من بينهما مسدسًا أنيقًا وصوبته نحوى فنسيت الخطاب . . . وأخذت أنصهر من قبل أن تلمس الهانم زناد المسدس .

حلم ٨٢

أسعدنى جدا أن يتولى شئون المؤسسة المدير الجديد على الرغم من أننى لم أشارك فى انتخابه ، ولكن كلما أثنيت عليه تصدى لى إخوان بالسخرية فسرت حائرا بين الإعجاب من ناحية والسخرية من ناحية أخرى ولكنى رفضت اليأس رفضا تاما .

حلم ٨٣

رأيت الكارتة مقبلة حاملة فاتنة درب قرمز ويجرها جواد مجنح . اتخذت مجلسى فيما وراءها وفرد الجواد جناحيه فبدأت ترتفع حتى

علونا الأسطح والمآذن وفى ثوان وصلنا قمة الهرم الأكبر وأخذنا فى عبوره على ارتفاع ذراع فجازفت وقفزت إلى قمته وعيناى لا تتحولان عن الفاتنة وهى تعلو وتصعد والليل يهبط والظلام يسود حتى استقرت كوكبا مضيئا.

حلم ٨٤

رأيتنى فى شارع الحب كما اعتدت أن أسميه فى الشباب الأول. ورأيتنى أهيم بين القصور والحدائق وعبير الزهور. ولكن أين قصر معبودتى؟. لم يبق منه أثر. وحل محله جامع جليل الأبعاد، رائع المعمار، ذو مئذنة هى غاية فى الطول والرشاقة، ودهشت، وبينما أنا غارق فى دهشتى انطلق الأذان داعيا إلى صلاة المغرب. دون تردد دخلت الجامع، وصليت مع المصلين ولما ختمت الصلاة تباطأت كأنما لا أرغب فى مغادرة المكان. لذلك كنت آخر الراحلين إلى الباب، وهناك اكتشفت أن حذائى قد فقد، وأن علىّ أن أجد لنفسى مخرجا.

حلم ٨٥

هذه محطة ترام وأنا حائر بين أبعادها لانتظار مجىء ترام ما ولكن ترقبى لسطوع القمر فى النافذة المطلة على المحطة، حيث أختلس نظرة بعد نظرة، وأتمادى فى الطلب وما أكثر الأصدقاء الذين يسألوننى حتى متى تبقى وحشتى، ولكن أنا فى رحلة لا مفر منها كأنها قضاء وقدر والحق أنها رحلة شاقة مرهقة وأطول مما تصورت وعند العودة لم يتبين

لى إلا قفص مربع هو النافذة ووجدتها بموضعها ولكنها بدت واجمة لا تستجيب ولا تجيب، وكما كنت بالأمس، ووقفت تحت النافذة منتظرا غير عابئ بالمارة وأخيرا هبط علىّ صوت حديث كالهمس يتخلله ضحك مكتوم.

ثم سمعت صوتا يتساءل:

- ما حكاية الرجل الذى يقف تحت النافذة؟

فأجابه صوت ضحكتها:

- إنه يبكى عن ذكرى حبيب ومنزل.

حلم ٨٦

كُلفت بحمل رسالة إلى المرحوم الدكتور حسين فوزى، فقلت له إن معى عرضا لإعادته فى الخدمة مع زيادة ملموسة فى الراتب وتخصيص حجرة فاخرة لمقامه. ضحك الدكتور وقال إنه لا يهمه الراتب ولا الحجرة، ولكن يهمه احترام فكره وكرامته.

ورجعت وفى يقينى أن مهمتى قد فشلت.

حلم ٨٧

فى الصباح الباكر اكتشفت الجريمة الوحشية، وما لبثت وحشيتها أن صارت حكاية على كل لسان. ولكنى لم أجد موضعا للاختباء إذ إن المكان كله يتقاسمه رجال الشرطة وطبيبات المرض النفسى.

وأصبحت فريسة للقلق حتى استدعتنى إلى حجرتها كبيرة الطبيبات . وقالت لى الأكثرية هنا يفسرون وحشية هذه الجريمة بالقسوة الكامنة فى طبيعة القاتل ، أما أنا فأفسرها بقلة خبرته وجهله للأصول العلمية الحديثة لفن القتل ، لذلك قررت إلحاقه بالمعهد العصرى للجريمة ، والله ولى التوفيق !

حلم ٨٨

فى قريتنا كل فرد ينتظر رسالة قد تقرر مصيره ، وذات يوم تلقيت رسالتى فقرأت فيها أن الحكم صدر بإعدامى شنقا ، وذاع الخبر كعادة تقاليدنا ، فاجتمع أعضاء نادى القرية وقرروا الاحتفال بالأمر فى حينه أما فى بيتى حيث أعيش مع أمى وإخوتى وأخواتى فقد انشرحت الصدور وعم السرور . وفى اليوم المنتظر دقت فى النادى الطبول . وخرجت أنا من بيتى فى أحسن زينة محاطا بأفراد أسرتى ، ولكن أمى شذت عن حالنا فدمعت عيناها وتمنت لو كان العمر امتد بأبى حتى يشهد بنفسه هذا اليوم السعيد .

حلم ٨٩

من موقفى فى الحديقة رأيت سيدة فى الستين مقبلة نحوى متجهمة الوجه وقالت بنبرة غاضبة : بسببك خسرت الجائزة .

وتذكرت السيدة ووجهها الحزين ولكنى لم أفهم لقولها معنى واستمرت تقول : اللجنة استبعدت قصتى بحجة أنها نسخة من قصتك المطبوعة منذ أربعين سنة .

وضح كل شيء وعرفت أن الحظ السيئ مازال يتعقب المرأة وواصلت حديثها:

أقسمت لهم أن قصتى لايجوز أن تتهم بسبب بسيط وهو أنها قصة حياتى.

فقلت بانفعال: صدقت. أنا الذى اقتبست قصتى من واقع حياتك الذى شاركت فيه أسوأ مشاركة.

فقالت وهى تضحك بسخرية: فرصة أن أكون ضحية لك فى واقع الحياة لا فى الخيال..

حلم ٩٠

تم بناء البيت فكان تحفة معمارية جاء إليها الناس من جميع الأطراف وكل يأمل امتلاكها.. وكثرت المساومات واشتد الجدل حتى شق الجموع عملاق وهو يقول بصوت جهير: إن القوة هى الحل. ووجم الناس إلا واحدا تصدى له فقامت بينهما معركة حامية حتى تمكن العملاق من توجيه ضربة إلى رأس خصمه فهوى فاقد الوعى ثم اقتحم العملاق البيت وأغلق البيت بإحكام. وتمر الساعات فلا يفتح فى البيت منفذ إتقاء للانتقام. أما الواقفون فى الخارج فلم يأتوا بحركة مجدية وكأنهم فى الوقت ذاته لم يتفرقوا.

حلم ٩١

فى البدء كانت العربة، كنت أدفعها أمامى بقوة ومرح، وذات يوم وجدت على سطح العربة طفلة فازددت نشاطا ومرحا وتتابع القادمون

حتى غطوا السطح فاستنفدوا قوتى ومرحى. وشعر الراكبون بمعاناتى فعزمت على ترك العربة حالما تسنح فرصة طيبة، وبمرور الأيام خلا السطح، رجع إلى أصله. أما أنا فلم أرجع بل ازددت ضعفا وأخيراً ركنت العربة ورقدت إلى جانبها.

حلم ٩٢

وجدت نفسى فى بهو جميل، وبين يدىّ وعاء ذهبى ملىء بما لذ وطاب.

فذكرنى هذا بسمار الليالى من أصدقاء العمر الراحلين، وإذا بى أراهم مقبلين تسبقهم ضحكاتهم المجلجلة، فتبادلنا السلام وأثنوا على الوعاء وما فيه، غير أن سعادتى انطفأت فجأة وصارحتهم بأننى لن أستطيع مشاركتهم حيث منعنى الأطباء من التدخين منعا باتا، وبدت الدهشة على وجوههم ثم ركزوا أبصارهم فى وجهى وتساءلوا ساخرين:

- أمازلت تخاف من الموت؟!

حلم ٩٣

على سطح بيت قريب رأيت أثاثا يرتب وينمق، سألت فقيل لى إن صاحب ذلك البيت حوّل بيته إلى معهد ثقافى بالمجان قانعا بالمعيشة فوق السطح فأعجبت به وأكبرته وعزمت على حضور بعض دروسه ووجدت المكان غاصا بالبشر وقال الرجل إن درس اليوم سيكون عن

الثور الذى يحمل على قرنه الأرض وصدمنى قوله بشدة ففرت منى ضحكة ساخرة فاتجهت نحوى الوجوه شاخصة بالغضب، أما الرجل فرمانى بنظرة عابسة وهو يشير صامتا إلى باب الخروج.

حلم ٩٤

خمسة انقضوا علىّ شاهرين المطاوى فسلبوا نقودى وفروا بسرعة مذهلة، ولكن بعض ملامحهم انطبعت على ذاكرتى ومنذ وقوع هذا الحادث تجنبت المشى منفردا فى الشوارع الجانبية غير أن الشارع الرئيسى لم يكن يخلو من متاعب. فذات يوم وجدت المرور متوقفا والناس متكدسين على الجانبين وما لبث أن جاء طابور من سيارات عديدة ولما مر أمام ناظرى مؤخرة الطابور لمحت وجها انشق لمرآه قلبى فجعلت أنطق «يخلق من الشبه أربعين».

حلم ٩٥

تمت الموافقة على بدء الرحلة فتلقى الأهل الخبر بالرضا وسارعوا إلى إمدادى بالمال فذهبت من فورى إلى الترزى لتفصيل بدلة على أحدث موضة وقام الرجل بعمله كأحسن ما يكون ولم يكتف بذلك بل جاء بعمامة أنيقة ووضعها على رأسى وهو يقول: إنه بذلك تصبح البدلة على أحدث موضة.

حلم ٩٦

اشتد العراك فى جانب الطريق حتى غطت ضجته ضوضاء المواصلات ورجعت إلى البيت متعبا، وهناك تاقت نفسى إلى التخفف من التعب تحت مياه الدش فدخلت الحمام فوجدت فتاتى تجفف جسدها العارى، فتغيرت تغيرا كليا واندفعت نحوها، ولكنها دفعتنى بعيدا وهى تنبهنى إلى أن ضجة العراك تقترب من بيتى .

حلم ٩٧

هذه حجرة السكرتارية حيث أمضيت عمرا قبل إحالتى إلى المعاش، وحيث زاملت نخبة من الموظفين شاء القدر أن أشيّع جنازاتهم جميعا، واسترقت نظرة من داخل الحجرة لأرى من خلفونا من الشباب، فكدت أن أصعق . لم أر سوى زملائى القدامى واندفعت إلى الداخل هاتفا «سلام الله على الأحباب» متوقعا ذهولا واضطرابا، ولكن أحدا لم يرفع رأسه عن أوراقه فارتددت إلى نفسى محبطا تعسا، ولما حان وقت الانصراف غادروا مكاتبهم دون أن يلتفت أحدا نحوى بما فيهم المترجمة الحسناء، ووجدت نفسى وحيدا فى حجرة خالية .

حلم ٩٨

من موقفى على الطوار أرسلت بصرى إلى الحديقة من خلال قضبان السور الحديدية، وهناك رأيت مالكة فؤادى وهى توزع شيكولاتة على

المحبين فاندفعت جهة باب السور حتى بلغت مدخل الحديقة وأنا ألهث وواصلت الجرى فى الداخل ولكنى لم أعثر للمحبوبة على أثر فهتفت بحدة لاعنا الحب. وحانت منى التفاتة إلى الخارج فرأيت الفتاة فى الموضع الذى كنت فيه وهى تتأبط ذراع شاب بدا أنه خطيبها، وهممت بالرجوع من حيث أتيت ولكن أقعدنى الإرهاق وطول المسافة وفوات الفرصة.

حلم ٩٩

هذا فناء مستدير تتوسطه نخلة رشيقة وتقوم فى جوانبه بيوت صغيرة وعند العصارى تفتح الأبواب وتخرج النساء للسمر تحت النخلة ويدور الحديث غالبا حول البنات والزواج، وأنزوى أنا بعيدا لأتابع الحديث بشغف، وعندما يهبط المغيب يعضنى الجوع ولم يكن يعلم بحالى سوى صديقة طفولتى تتسلل إلىَّ حاملة طبقا صغيرا نصفه مملوء بالجبن البيضاء والنصف الآخر مفروش بالبقدونس، ونتعاون معا على معالجةالجوع على أنغام حديث الزواج.

حلم ١٠٠

هذه محكمة وهذه منضدة يجلس عليها قاض واحد، وهذا موضع الاتهام يجلس فيه نفر من الزعماء وهذه قاعة الجلسة، حيث جلست أنا متشوقا لمعرفة المسئول عما حاق بنا، ولكنى أحبطت عندما دار الحديث بين القاضى والزعماء بلغة لم أسمعها من قبل، حتى اعتدل القاضى فى جلسته استعدادا لإعلان الحكم باللغة العربية فاستردت للأمام، ولكن

القاضي أشار إليّ أنا ونطق بحكم الإعدام فصرخت منبها إياه بأنني خارج القضية وإني جئت بمحض اختياري لأكون مجرد متفرج، ولكن لم يعبأ أحد بصراخي.

حلم ١٠١

زيَّنا البيت ترحيبا بالابن العائد بعد غياب، أصبح فيه نجما من نجوم المجتمع وأمضينا السهرة في الشرفة التي تمد الشقة بالمنظر الجميل والهواء النقي، وأتحفنا العائد بالأشعار والألحان حتى انتصف الليل وفي الصباح وجدت مدخل الشرفة مسدودا بدولاب عملاق فخجلت، ولكن الابن لم يخف حزنه، إذ ثبت له أن أناسا من صميم أسرته لا يستلطفون وجوده ويكرهون عمله الجميل.

حلم ١٠٢

أخيرا اهتديت إلى مأوى في الدور التحتاني من بيت قديم، ولكن سرعان ما ضقت برطوبته وسوء مرافقه فسعيت من جديد حتى نقلت إلى الدور الفوقاني وهو أفضل من جميع النواحي، غير أن السماء أمطرت بغزارة غير معهودة فانسابت المياه من الأسقف فاضطررنا إلى تكويم العفش وتغطيته بالأكلمة، وغادرنا الشقة إلى بير السلم فشعر بنا ساكن الدور التحتاني الجديد فخرج إلينا ودعانا بإلحاح وبشدة إلى الداخل حيث الدفء والرعاية.

حلم ١٠٣

ماذا جرى لبيتنا؟ جميع المقاعد تلاصقت وسمِّرت قوائمها فى الأرض، وخلت الأسقف من المصابيح والجدران من الصور والأرض من السجاجيد، فماذا جرى لبيتنا؟

قالوا بأنه إجراء لتأمين البيت لتعدد حوادث السطو على المنازل، فقلت دون تردد إن السطو أحب إلىَّ من القبح والفوضى.

حلم ١٠٤

رأيتنى فى حى العباسية أتجول فى رحاب الذكريات، وذكرت بصفة خاصة المرحومة «ع» فاتصلت بتليفونها ودعوتها إلى مقابلتى عند السبيل، وهناك رحبت بها بقلب مشوق واقترحت عليها أن نقضى سهرتنا فى الفيشاوى كالزمان الأول، وعندما بلغنا المقهى خف إلينا المرحوم المعلم القديم ورحب بنا غير أنه عتب على المرحومة «ع» طول غيابها، فقالت إن الذى منعها عن الحضور الموت فلم يقبل هذا الاعتذار، وقال إن الموت لايستطيع أن يفرق بين الأحبَّة.

حلم ١٠٥

جميع الرجال فى حيِّنا يحلقون رءوسهم فى صالون عم عبده انجذابا للحسناء الجالسة خلف صندوق النقود، وتمنينا جميعا أن تتحسن حالتنا المالية فنحلق ذقوننا كل صباح فى رحاب الجمال، وذات يوم وجدتنى

أسير فى طريق متألق الجمال والنقاء، وإذا الحسناء مقبلة نحوى من بُعد قريب حتى إذا حاذتنى التفتت إلىّ فجأة وأخرجت لى لسانها، وبسرعة مذهلة تحول وجهها إلى كتلة خشبية سميكة فذعرت وسارعت مبتعدا، غير أن ترامى إلىّ صوت ضحك فنظرت ناحيته فرأيت الحسناء تراقص الأسطى وهما فى غاية الحيوية والمرح.

حلم ١٠٦

غزا الوزارة نبأ بأن انقلابا قد وقع فى الصباح الباكر فتجمع الموظفون حول التليفزيون واستمعنا إلى البيان الأول، فقال موظف قديم إنه سمع هذا البيان فى مطلع شبابه، أما أنا فاكتشفت أن زعيم الانقلاب صديق حميم، ومن فرحتى أعلنت الخبر مسترخيا فى حبور بأن الحياة سوف تضحك لى، فقال الموظف القديم: إنه قد تضحك لى الدنيا وقد أعدم بدون محاكمة.

حلم ١٠٧

يا له من تراحم عجيب، ففى حقيقته يرقد نعش كتب عليه أن هذه جنازة فلان تنفيذا لوصيته، وفلان زميل كريم اشتهر بندب حظه السيئ، فعلى كثرة مؤلفاته لا يكاد يعرفه قارئ، وجاء المشيعون والمتفرجون حتى بلغ الكرام المدافن وسط مظاهرة لم تشهدها جنازة من قبل، وما جاء المساء حتى كان اسم الراحل يتردد على كل لسان.

حلم ١٠٨

غادرت القطار الجميل وقلبى مفعم بالأشواق، ولكنى وجدت نفسى فى خلاء مخيف، فأين إذن الحديقة التى لا يوجد مثلها فى البلاد؟! وأدركنى رجل وجيه. تذكرت وجه الرجل الذى تزوج من حبيبتى منذ سنوات فاعتذر عن التأخير فى بدء العمل لتعاقب الحروب وأكد أن الرأى استقر نهائيا على أن يعود هذا الأسبوع وعلى أن يتم تمامه فى شهر واحد تعود بعده الحياة لأجمل حديقة فى الوجود، وبخلاف المتوقع فإننى صدقته أملا أن يجىء يوم تجمع الحديقة بينى وبين حبيبتى كما جمع بيننا حى واحد فى الزمان الأول.

حلم ١٠٩

هذا تلميذى يتلقى عنى علوم الموسيقى والألحان وسرعان ما أصبح تلميذى نجما ثريا، وظللت أنا فى الظل منسيا فتركت عملى الجميل الشاق واشتغلت بتهريب الآثار، وكف تلميذى عن التعلم والعلم وأدمن المخدرات وعرض صوته للتلف، وحدث أن جمعنا حفل ساهر فلا هو عرفنى ولا أنا عرفته، وأخذت أتساءل مع كثيرين عن تدهورنا وما جرى لنا.

حلم ١١٠

إنه مشوار مرهق وعند نهايته وجدت بوابة مغلقة فاستجمعت قواى وجعلت أرفعها حتى استجابت، فرأيت وراءها بحيرة تنطلق منها

صواريخ كلما بلغ صاروخ الفضاء فى الفجر باعثا من الظلمة وجها عزيزا محبوبا . امتلأ الفضاء بالأحبة ، ومع ذلك فمازلت أنتظر سطوع الوجه الذى علمنى العشق وألهمنى الخلود .

حلم ١١١

فى الجو غيم وفى الصدور قلق يترامى إلينا من بعيد لا يتوقف ، وقال صاحبى وهو يحذرنى بأنهم يستهدفون حياتنا فقلت له إنى عرفت أخيرا سبيل الخلاص ، ولا أنكر أنه وعر كثير المقاومة ، ولكن ليس عندى خير منه فاتبعنى إن شئت ، وتفكر صاحبى طويلا ثم تبعنى وهو يقول إن الأعمار بيد الله وحده!

حلم ١١٢

يا لها من ضوضاء ، فثمة أصوات متضاربة وخطوات تهرول حينا وتركض حينا ، وصرخة هنا ، وصرخة هناك ، وطلقات نارية ، وامرأة تستغيث بالله ، أذهلنى التشابه بين صوتها وصوت المرحومة أمى ، ومن فورى هرعت إلى السطوح حيث اجتمع إخوتى وأخواتى وتحدث أخى الأكبر عن الاستغاثة والصوت ، فقال لى بتيقن بأن الصوت هو صوت أمُنا دون غيره وليس آخر يشبهه .

حلم ١١٣

أخيرا حضر الوزير الجديد فقدمت له نفسى باعتبارى سكرتيره البرلمانى، ولكنه لم يفهم كلمة من كلامى، فحاولت شرح عملى ولكنه نهرنى بحدة وأمر بنقلى من وظيفتى، وهكذا بدأت المعاناة فى حياتى، ثم شاء القدر أن يجمع بينى وبين الوزير فى مكان غير متوقع وهو السجن، وبعد أن أفقت من ذهولى أخذت أذكره بلقائنا الأول وما جرى فيه حتى تذكر وتأسف واعتذر، وانتهزت وجودنا فى مكان واحد كى أشرح له عمل السكرتير البرلمانى.

حلم ١١٤

جاءت الشغالة الجديدة مصحوبة ببعض أقربائها وكأنهم أرادوا أن يشاهدوا المكان وأهله لتطمئن قلوبهم على ابنتهم الوسيمة، غير أن الوسيمة لم تمكث عندنا إلا نصف يوم، ثم ذهبت تاركة فى النفوس غضبا وبلبلة، حتى كان ذات مساء فرأيتها تخرج من عمارة قريبة وهى على حال من الانحراف الصارخ فصعقتنى الحقيقة الغائبة وأدركت عمَّ كانوا يبحثون فى اللقاء الأول.

حلم ١١٥

فى البدء التهب الخصام حول إصلاح البيت بين الساكنة فى الدور التحتانى ومالكة البيت المقيمة فى الدور الفوقانى وترامت الأصوات إلى الحارة الصغيرة ففُتحتْ نوافذ وأبواب وأيَّد البعض مالكة البيت. أما

الكثرة فأيَّدت الساكنة، واحتدم الجدل ثم تطايرت الشتائم حتى أنذر الغضب الأحمر بسفك الدماء.

حلم ١١٦

ذهبت لتهنئة صديق قديم على الوزارة، ولكن بخلاف المتوقع قوبلت فى المكتب بفتور واضح ثم طال انتظار المقابلة دون جدوى، فتسلل إلى ظنى أن بعضهم افترى علىَّ فرية أفسدت الود القديم، وأخيرا غادرت مجلسى لا أرى ما بين يدى واستقبلنى زميل يبقى على وده وقال لى ألا لعنة الله على ألسنة السوء فسألته ولمَ لم يقابلنى ويتحقق من الأمر، فقال إنه مضى زمن والقانون معطل اكتفاءً بأقوال الشهود.

حلم ١١٧

كنت جالسا فى المقهى وإذا بفتوّة الحى يجلس إلى جانبى دون استئذان فرحّبت به مرغما فقال: إنه اختارنى للزواج من ابنته المطلقة، فارتعشت أطرافى وقلت: إننى سأتزوج من ابنة عمى فى نهاية الأسبوع، فقال ببساطة وثقة: أنت ستتزوج من ابنتى وأنا سأتزوج من ابنة عمك.

حلم ١١٨

وجدتنى فى ميدان محطة الرمل المزدحم دوما بالبشر، ولمحت فى

ناحيته الرجل الذى تردد كلماته الألوف وهو يغازل غانية، فهمست فى أذنه «إذا بليتم فاستتروا». فقال: وهل ثمة ستر أقوى من ملابسها؟!

حلم ١١٩

وصلت إلى المحطة فى الوقت الحرج واتخذت موقعى فى الطابور الممتد إلى شباك التذاكر. ظللنا بين القاطرة والشباك حتى انطلقت صفارة الإنذار الأخيرة ومازلت على مبعدة من الشباك، وهكذا فاتنى القطار.

حلم ١٢٠

قمنا برحلة إلى المملكة التى تغنّى بروعتها الشعراء، وهناك انضم كل فرد إلى المرشد الذى اختاره ينتقل به من مشهد إلى مشهد ومن جبل إلى بحيرة ومن متحف إلى مقبرة، وقال المرشد: إنه لم يبق من الرحلة إلا الحديقة البللورية، ودعانا إلى شىء من الراحة والتأمل كى لا يصدمنا الانبهار فسألنا: وهل ثمة انبهار يفوق ما شاهدنا من أحياء وأشياء، فابتسم المرشد وواصل السير ونحن فى أثره..

حلم ١٢١

رأيتنى أسير فى شارع كورنيش الإسكندرية مستهدفا العمارة التى أرى فى إحدى شرفاتها السيدة الأنيقة بصحبة زوجها وأبنائها الشبان، فلما فتر الهدف ذاب المنظر ذوباناً سحرياً ناعماً حتى اختفى وحل محله

شارع العباسية، ومازلت أسير نحو العمارة الجديدة التى تطالعنى من إحدى نوافذها الفتاة التى لا تُنسى، ولكنى وجدت النافذة خالية فقررت الانتظار كالعادة فى محطة الترام، ولكنى لم أجد للمحطة أثرا ولا لقضبان الترام أثرا على طول الشارع.

حلم ١٢٢

الليل سجى فاحتوتنا غرفة وهبتنا الظلمة راحة عابرة وفرحًا حميماً، وترامى إلينا من الطريق ضجة، فهرعت إلى خصاص النافذة فرأيت قوما يحدقون بشخص مألوف الهيئة وينهالون عليه باللعنات واللكمات، وهو مستسلم لم يقاوم حتى شعرت باللكمات تخرق جسدى.

حلم ١٢٣

هذا ميدان الأوبرا وفيه أسير متجها نحو مقهى الحرية، فأدهشنى أن أجدها خالية من روادها اللهم إلا شخص منكب على قراءة أوراق مبسوطة بين يديه، وسرعان ما تبين لى أنه أستاذى الشيخ مصطفى عبدالرازق، فانشرح صدرى واندفعت نحوه مشتاقا إلى لقاء حميم غير أنه التفت إلىّ متجهما فهبط قلبى، وأشار الأستاذ نحو الأوراق وقال لى: آسف إنه قرأ اسمى بين شهود الإثبات، فلم أدر ماذا أقول ولا كيف أعتذر؟

حلم ١٢٤

كثيرا ما اجتمعنا بمكان يقع بين الحقول من ناحية والطريق العام من ناحية أخرى، حتى قال لى صاحبى إن هذا الموقع لا يضمن السلامة فى كل الأحوال، ومن لحظتها سكن القلق فى صدرى حتى استيقظت ذات صباح على ضجة وصياح، فقمت إلى النافذة فرأيت جموعا لا يحصرها حصر وجماهير لم أميز فيها سوى الغضب الأحمر.

حلم ١٢٥

توجهت إلى مسكنى فوجدته يمور بالحركة ولا شىء من الأثاث فى موضعه، وثمة غلمان وبنات لا أعرفهم يلعبون هنا وهناك دون أن يحسوا بحضورى فانقبض صدرى، ودلفت إلى الشرفة المطلة على حديقة قريبة منى، وفيها شجرة ضخمة تمتلئ أغصانها بالعصافير المزقزقة، وكانت الزقزقة وحركة العصافير قد أنستنى كل شىء غير صوت العصافير وهى تغرد.

حلم ١٢٦

ذهبنا لتهنئة الوزير الجديد بوصفنا أصدقاء قدامى فرحب بنا، ووجدنا أحباء آخرين فرجعنا معهم إلى عهد الصبا، وفى الصباح التالى أذاع الراديو البيان الأول لحركة الجيش، وعندما ذهبنا إلى السكرتارية للترحيب قالوا لنا لا تسهبوا فى الترحيب قبل أن تعرفوا القادم.

حلم ١٢٧

فى حديقة هذه الفيلا نجتمع مساء للسهر والسمر فى حرية شاملة، ولكن صاحب الحديقة تغير فجأة فاستبد بكل شىء، فهو يختار موضع الجلسة وموضوع الحديث والأكل والشرب، وحسبناها دعابة ولكنه استمر وتمادى فضقنا به ذرعا غير أننا أخفينا مشاعرنا إكراما للموقف. إلا واحداً لم يستطع إخفاء مشاعره، وذات مساء انفجر غضبه المكتوم وجن جنونه فصرخ، وأخرج من جيبه مسدسا صوبه نحونا بيد مرتجفة فتفرقنا فى الحديقة تطاردنا لعناته وشتائمه.

حلم ١٢٨

هذا محل لبيع التحف يتألق نورا وبهجة، وتجلس فى خدمة ضيوفه شابة آية فى الجمال، وطفت به حتى صادفنى مطعم صغير فتناولت ساندوتشا ودخنت سيجارة والتفت لرؤية الشابة الجميلة، لكنى وجدت مكانها امرأة طاعنة فى السن فانقبض صدرى وأرسلت ناظرى باحثا عن الجميلة، فمضيت فى حيرة بمرآة فوقها مشهد به صورة عجوز يتوكأ على عصا غليظة قد أعياه المشى والقلب والذاكرة.

حلم ١٢٩

مازلت فى صباحى مستوصيا بالصبر والعزم والاستمرار حتى بلغت مرتفعا أوحى إلىّ بأخذ شىء من الراحة، وهنا لمحت صبيا يكافح

للصعود، فرق له قلبى ومددت له يدى، ولكنه جذبنى بقوة لأجدنى أتدحرج ولا أملك لنفسى شيئا.

حلم ١٣٠

صحوت من نومى على أصوات تنادينى غير عابئة بوقار الليل، وسرعان ما عرفت منها أصوات صديقات الزمان الأول، وكن يذكرننى بالميعاد الذى لم أنجزه فتلفحت بالروب وهرولت إلى الخارج، ولكنى وجدت الشارع خاليا والصمت سائدا.

حلم ١٣١

لقاؤنا فى هذا الركن من الغابة وحياتنا طرب مستلهم من المواويل، وسماؤنا سحب من دخان رقيق عاطر، ونحن كأننا نائمون أو غافلون، وذات يوم اقتحم هدوءنا غناء غريب مجنون الإيقاع شديد الصخب فذهلنا ورأى بعضنا إسكاته ولو بالقوة على حين آثر البعض التأمل والحكمة، وعلى أى حال فقد استيقظ النائمون وتنبه الغافلون.

حلم ١٣٢

هى وأنا ماضيان كالعادة إلى ملهى من الملاهى، وفى الطريق استأذن دقيقة ريثما يشترى سجائره ولما رجع لم يجدها، فغلب على ظنه أنها سبقته إلى الملهى المتفق عليه فذهب إليه ولكنه لم يجدها، فراح ينتقل من ملهى إلى ملهى باحثا عنها، وحتى هذه اللحظة لم يكف عن البحث.

حلم ١٣٣

جائزة مقدارها مائة جنيه لم أعرف قبلها من النقود إلا راتبى الصغير، فأملت أن تكون الخطوة الأولى فى طريق الثراء، فكم من زميل بدأ من الصفر ثم أصبح من كبار الأغنياء، وسألت أحدهم عن الوسيلة فضحك وقال لا تسل عن الوسيلة فلا يجهلها أحد، ولكن سل عن الشخص والزمن.

حلم ١٣٤

جمعتنا المواعيد فى الطريق الزراعية، فجعلنا ننشد الأشعار ونغنى ما طاب لنا من الألحان حتى سرقنا الوقت، فغاب قرص الشمس ونحن لاندرى، فتذكرنا أنه عند هبوط الظلام يترامى إلينا عواء الذئاب من جهات كثيرة.

حلم ١٣٥

اشتقت لرؤية أهلى فانتقلت من فورى إلى البيت القديم، وهالنى أن أجده غارقاً فى الظلام كأنهم استأنسوا بالظلمة، فناديتهم معاتباً رجلاً رجلاً وامرأة امرأة، ولكن لم يجبنى أحد. . رجعت أكرر النداء حتى دمعت عيناى.

حلم ١٣٦

رقد جثمان أختى على الفراش، وقفت أمامه ومعى حبيبتى خاشعين، على حين تربعت على الفراش صبية جميلة تغنى غناء شجيا، وجرى الزمن فأصبح الجثمان الراقد على الفراش هو جثمان حبيبتى، ووقفت أنا وأختى أمام الفراش خاشعين، وواصلت الصبية فى موضعها تغنى غناءها الشجى.

حلم ١٣٧

يا لها من حديقة لا أول لها ولا آخر يقطر من سمائها الصفاء وتتوارى أرضها تحت الشجر، وجلسنا فى ظل شجرة لنأكل ونشرب، وإذا بصوت يخبرنا بأن المغنيات والراقصات آتيات آتيات، وصوت آخر يحذرنا من الاستماع إلى الأمثال والحكم التى تذم بصلب الدهر وتحدى الأيام، وقال حسبكم هذه الأشجار المثقلة ثمارها بالهناء والسرور.

حلم ١٣٨

شارع طويل عريق وأنا أسير فيه على مهل غافلا عما حولى، وإذ بيد تربت على كتفى، فالتفت أمامى فرأيت امرأة آية فى الجمال والرشاقة ودهشت فابتسمت فابتسمت، فأسرعت نحو بيت أنيق أخضر، فاستقر رأيى على أن أتبعها، ولكننى التفت حولى لحظة ليطمئن قلبى، وفى هذه اللحظة تدفق جنود الأمن حتى سدوا الطريق سدا وتعذر علىّ التقدم، ولكن عينّى لم تتحولا قط عن البيت الأنيق الأخضر.

حلم ١٣٩

هذا معرض اشتهر بصوره الفنية التى تتغير شكلا ومضمونا كلما اقترب منها المشاهد، وأول ما طالعنى صورة غابة آية فى الجلال، ولما اقتربت خطوة تلاشت الغابة وحلت محلها صورة امرأة عارية متعددة المحاسن، وعند الخطوة التالية غابت المرأة وظهرت محلها صورة معركة حامية الوطيس اشتعلت فيها كافة أنواع الأسلحة من الأحجار وحتى الإلكترونات.

حلم ١٤٠

هذه امرأة ثرية المحاسن ما إن رأيتها حتى غازلتها، وإذا بزوجها ينقض علىَّ ويأبى أن يتركنى إلا فى القسم، ولكن تداخل رجل من حينا اشتهر بين خاصة معارفه بالدعوة إلى الحرية المطلقة، ففررت بعد أن لقننى درساً لا ينسى ويتجسد لى كلما قابلت امرأة، حتى رأيت نفسى وجها لوجه مع المرأة الجميلة فهممت بالجرى، ولكنها أقبلت علىَّ باسمة وتأبطت ذراعى وهى تهمس بأن زوجها اعتنق أخيرا دعوة الحرية المطلقة.

حلم ١٤١

هذا حينا القديم الجميل، وهذا أنا أجول فى أركانه حاملا فى قلبى ذكرياته، ثم خطر لى أن أقيم فى البيت القديم حتى تخف أزمة المساكن، ولكن تبين لى من أول يوم أنه لم يعد صالحا للحياة الحديثة.

حلم ١٤٢

هذه القطعة من الأرض الفضاء هى ميراثى الوحيد، وقد أطلق عليها اسم الخرابة لطول ما عانت من إهمالها، وما أن رُزقت بعض المال حتى فكرت جادا فى تعميرها، ولكنى لم أقدم لكثرة ما عرفت من حوادث النصب وفساد الذمم، حتى سألت جارى الحكيم: ألا يوجد فى الدنيا شخص خيِّر؟ فأجابنى بأنه موجود، ولكن يتطلب العثور عليه عزما وشجاعة وبحثا لا يتوقف.

حلم ١٤٣

سمعت صوتا غير مألوف فمرقت بسرعة إلى فناء العمارة فرأيت رجلا غريبا أثار فى نفسى الريب، فناديت البواب ولفتُّ نظره إلى الرجل الغريب، فأخبرنى بهدوء أنه موظف ويؤدى واجبه الرسمى وهو أخذ الزائد من الأفراد من المساكن المكتظة وينقله إلى مسكن يتسع له، فاعترضت قائلا إنه يأخذ فردا من أسرة ويخلف حزنا وينقله على رغمه إلى مكان لا يرحب به، فقال البواب بأن هذا هو القانون ونحن لا نملك حياله إلا الإذعان والتسليم.

حلم ١٤٤

نظرت فى ظلمات الماضي فرأيت وجه حبيبتى يتألق نورا بعد أن دام غيابها خمسين سنة، فسألتها عن الرسالة التى أرسلتها لها منذ أسبوع،

فقالت إنها وجدتها مفعمة بالحب ولكنها لاحظت أن الخط الذى كتبت به ينم عن إصابة كاتبه بداء الخوف من الحياة وبخاصة من الحب والزواج، ولما كنت مصابًا بنفس الداء فقد عدلت عن الذهاب إليها وفكرت فى النجاة فلذت بالفرار.

حلم ١٤٥

هذا مهرجان عظيم جمع العديد من رموز الأمم، ونادانى رئيس المهرجان وسلمنى كرة وهو يقول إنها هدية المهرجان لك وهى من الذهب الخالص، وانهالت علىَّ التهانى، ولما رجعت أعلنت نيتى على التبرع بنفس الهدية لأعمال الخير فجاءوا بمنشار وأخذوا يقسمونها، ولما وصل المنشار إلى باطن الكرة دوى المكان بانفجار مزلزل وتطايرت شظايا الضحايا من الإنسان والحيوان والنبات والجماد.

حلم ١٤٦

انتصر العدو واشترط لوقف القتال أن يتسلم تمثال النهضة الذهبى المحفوظ فى الخزانة التاريخية، وذهبت مع فريق لنحضر مفتاح الخزانة المحفوظ بالصندوق الأمين، ولما كشفنا غطاء الصندوق تبدى لنا ثعبان مخيف ينذر بالموت كل من يدنو منه، فتفرقنا وأنا أدارى فرحتى وأدعو للثعبان بالسلامة والتوفيق فى حفظ المفتاح.

حلم ١٤٧

دُعيت لاجتماع عاجل لسكان العمارة، وهناك أطلعونى على قرار صادر ضدى بإخلاء الشقة، ورحت أناشدهم العدل وأناشدهم الرحمة، حتى قال لى صاحب العمارة: إنه لم يعقد هذا الاجتماع للبحث عن العدل والرحمة ولكن للتأكد من مطابقة القرار للقانون.

حلم ١٤٨

اشتدت المنافسة بين القطارات وبين سيارات الطرق الزراعية، وأخيرا اجتمع المسئولون عن القطارات وقرروا تخصيص عربة قطار للعربدة والنساء فى نطاق الحرية المطلقة، كما قرروا إنشاء صالة فى كل عربة قطار للشرب والغناء والرقص، ورحت أشرب وأغنى وأرقص منتظرا فرصة للتسلل إلى عربة المسرات.

حلم ١٤٩

اجتاحت الثورة المدينة، وقُتل الملك وهو يدافع عن مدينته، وسرعان ما أولمت وليمة فاخرة لقادة الثورة، ودعت الملكة زعيمها إلى جناحها الخاص، وهناك استقبلته عارية تماما كاشفة عن مفاتنها.

حلم ١٥٠

اشتدت الأزمة حتى أشفى التاجر الكبير على الإفلاس ولم يجد من يقرضه فى طبقته التى أنهكتها الأزمة، ولكن تقدم بياع العرقسوس بقرض دون فوائد، ولما حان وقت السداد بلغت الأزمة ذروتها حتى فكر التاجر فى الانتحار ولكن أسعفه بياع العرقسوس بقرض جديد، وطلب منه أن يعتبر القرضين مهرا لابنته، وقالوا إن التاجر وجد أخيرا حلا لأزمته، فقال بياع العرقسوس فى سره إنه أيضا وجد حلا لأزمته التى لم يبح بسرها لإنسان.

حلم ١٥١

كنا نجلس حوله للسمر الممتع والمفيد تحت الشجرة، ويوما استأذن منا دقيقتين لتناول الدواء وصعد إلى شقته ولكنه غاب، فأرسلنا أحدنا ليطمئن عليه فوجد الشقة مغلقة بالقفل من الخارج، ومن ثم بدأت رحلة البحث غير المجدية عنه فى جميع نطاقه، وأخذ يساورنا القلق، يتساوى فى ذلك المحبون والكارهون والمستفسرون، أما إمام المسجد فقد دعا إلى أداء صلاة الغائب على روح الغائب.

حلم ١٥٢

ذهبتُ مدعواً إلى الدار الشهيرة فى الاحتفال بعيدها الذهبى، وهناك وجدت البهو مكتظا بمختلف الطوائف وجميع أصناف الكلاب، ووقف

الداعى فرحب وشكر ورجع إلى الذكريات، التى لا تنسى حين هجم عليهم كلب متوحش وكاد يفتك بهم جميعا، لولا أن تصدى له رجل جسور فألقى بنفسه عليه، ولأول مرة يعض آدمى كلبا حتى امتص منه وحشيته، فتغيرت الطبيعة الكلبية وتغيرت معاملة الكلاب للبشر، وها هم يجلسون جنبا إلى جنب فى سلام ويتناولون الحلوى، وفى الختام وقفوا جميعا وتغنوا بنشيد بلادى بلادى.

حلم ١٥٣

رأيتنى فى قارب شراعى مع نخبة من صفوة القوم، تحدق بنا المياه من كل جانب، فانقبض صدرى لجهلى التام بالسباحة، وارتفع الموج من صمت عميق ينذر بالانفجار، فألقت الصفوة بنفسها فى الماء وراحت تسبح بقوة ورشاقة، وازددت أنا انتباها وتذكرت الوقت الطويل الذى ضاع فى اللهو، وكان بعضه يكفى لتعلم السباحة والتدريب على الإنقاذ من الغرق.

حلم ١٥٤

دفعتنى أنا وصديقتى المذيعة أمواج متلاطمة من البشر، حتى توقفت فى ميدان صغير أمام سد من البشر لا يسمح بنفاذ إبرة، ونظرت فرأيت فى الجهة المقابلة محل الحلوانى الذى اعتدت أن أفطر فيه، ولكنى لم أستطع الحركة وقلت لصاحبتى إن برنامجها عن النصر سيتعطل قليلاً، فقالت: على كل حال أنا عندى خبر مثير، فقد مات فى الزحام المجاهد

الكبير مكرم عبيد، فخفق قلبى حزنًا على موت البطل وهناك رآنى نادل محل الحلوانى فوضع بعض الأطعمة فى كيس من الورق ووقف على كرسى ورماه من فوق الرءوس فتلقفته بلهفة وفتحته، ولكن يد صاحبتى سبقتنى إليه وهى تهمس بالمعذرة أنا أكاد أموت جوعًا، ثم مددت يدى داخله فلم أجد سوى بعض المخلل الإفرنجى.

حلم ١٥٥

بلغنى أن نزلة برد خفيفة ألمت بأستاذى الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق فقررت أن أعوده، ولكنى وجدته واقفًا على باب دارى والدموع تنحدر على خديه فهالنى منظره الحكيم إذا بكى، وقلت له: يا مولاى ما هى إلا وعكة خفيفة لا تستحق الدموع، فقال لى: أنا لا أبكى على حالى، فأدركت ما يعنى من أن البكاء على حالنا نحن، وانتهزت الفرصة وسألته عن العباد؟ فقال: عندكم الكثير من الصيدليات مليئة بالأدوية، إضافة إلى الوصفات الشعبية المجربة.

حلم ١٥٦

أخيرًا تنمرت القطة الوديعة وهاجت رياح الغضب، وتساقط الشرر يشعل الحرائق حيثما وقع، ولم أجد من أكلمه إلا الرياح، فقلت لها: عندنا وسائل سلمية كنا على وشك استعمالها، فقالت: ما فات وقته تعطل فعله، واستمرت زمجرة الرياح وتساقط الشرر.

حلم ١٥٧

لم يبق لى فى الحياة إلا أسابيع . . فهذا ما قرره الفحص الطبى ، فحزنت حزنًا شديدًا ثم تملكتنى موجة استهتار ، فأقبلت أتناول الأطعمة التى حرمها علىّ الأطباء من سنين ، ولازمت صديقتى «س» وعرضت عليها الزواج ، فدهشت وقالت لى : إنك تفقد صداقة بريئة عظيمة ولا تكسب شيئًا ، فألححت عليها حتى رضخت ، وبعد يومين جاءنى صديق طبيب يخبرنى بأن هناك إخصائيا عالميا سيزور مصر وأننا حجزنا لك مكانًا عنده . . فهنيئًا لك بفرحة الحياة ، وغمرنى سرور من رأسى لقدمى غير أننى تذكرت الأطعمة الضارة التى التهمتها والزواج الذى قيدت به نفسى على غير رغبة فشاب فرحتى كدر وقلق .

حلم ١٥٨

كلفنى الوزير بالتنقيب فى مخزن الفن التشكيلى بالوزارة تمهيدًا لإقامة معرض ، فأخذت مجموعة من الفراشين لإزالة الغبار وقتل الحشرات ، ولاحظت وجود لوحة كبيرة مغطاة فأزحت الغطاء عنها ، فطالعتنى صورة الزعيم سعد زغلول جالسًا على كرسى الرياسة وشابكًا يديه فوق عصاته ، فتأثرت لإهمال الزعيم الذى تربيت فى مدرسته الوطنية ، وإذا بالحياة تدب فى الصورة فترمش عيناه ويبدل يديه فوق العصا ويتجلى فى عظمة لا مثيل لها . . وسرعان ما جاءت الوفود من أبناء جيله تحييه وتشكو إليه ما أصابها من ظلم ، وسرعان ما نسيت

تعاليم الوزير والمهمة التى انتدبت لها، وانضممت إلى أكبر مجموعة وهى التى كان يتقدمها مصطفى النحاس.

حلم ١٥٩

تلقى بعض الحرافيش دعوة من الأستاذ سعد الدين وهبة فذهبنا إلى مقابلته، وهناك رحب بنا وأطلعنا على بيان سيرفعه إلى كبار المسئولين لتطهير الهيئة من الساسة المنحرفين، ودعانا إلى التوقيع عليه بإمضاءاتنا فاستجبنا بحماس، وعند فجر ذلك اليوم اخترق بيوتنا زوار الفجر وساقونا معصوبى الأعين إلى المجهول.

حلم ١٦٠

عرفت بمصادفة أنى أستطيع الرؤية خلف الأبواب المغلقة، فدهشت وسررت، وذهبت إلى البهو فوجدت الإخوان ملتفين حول مائدة القمار، ودعتنى الفتاة التى تقدم المشروبات إلى كرسى خال فجلست وأنا مطمئن، ونظرت إلى ظهر الأوراق فرأيت باطنها فضمنت الربح، ولكن صوتًا قال لى: إن الذى أعطاك هذه الموهبة قادر على استردادها إذا استعملتها فى الشر فانسحبت من الجلسة إلى البوفيه، وفى آخر الليل جاءتنى الفتاة لتخبرنى أن الذى كسب المائدة وُجد قتيلا مسروقًا فدهشت.. ثم قالت الفتاة إنها كرهت هذه المهنة، فمددت لها يدى ومدت لى يدها وسرنا معًا دون مقاومة.

حلم ١٦١

فى البدء حامت حولى فتاة صغيرة رشيقة، ثم أخذتنى من ذراعى إلى ركن منزو توجد فيه عربة كارو مركَّبٌ فيها حمار وصعدت إليها، وأشارت إلىّ فصعدت وتربعت إلى جانبها، وتناولت اللجام وحرَّكته بخفة، وسار الحمار يشق طريقه ببطء شديد وسط زحام الناس والمركبات، حتى بلغ الطريق الصحراوى فأخذ يسرع ويسرع حتى سبق السيارات والأوتوبيسات وكأنه يطير طيرانًا، فذهلت وسألت الفتاة: إلى أين؟ فأجابت: إلى المكان الذى تخور فيه قوى الحمار فيتوقف.

حلم ١٦٢

قررت أن أسير من جنوب الوادى إلى شماله مشيًا على الأقدام، وقابلتنى فى أوائل الرحلة رفيقة الطفولة والصبا وقد سمنت سمنة مفرطة، ونصحتنى بأن أتزوج عوضا عن هذه الرحلة العقيم، فشكرتها وواصلت السير حتى قابلت صديقى «م» متربعا على سجادة الصلاة فدهشت، وذكرته بأيام العربدة والإلحاد فقال لى: الهداية من الله سبحانه، ودعانى إلى الجلوس إلى جانبه فوعدته خيرا وواصلت السير، وفى منتصف الطريق أقبلت علىّ «ب» وحيتنى قائلة: إننى طاردتها بنظراتى حتى استجابت وانتظرت أن تتقدم لأبى ولكنك لم تخط خطوة واحدة بعد النظر فما سر ذلك؟ فقلت لها: إنى مازلت أتساءل مثلك. وواصلت السير حتى بلغت الشمال منهك القوى متورم القدمين، فرأيت الحبيبة الخالدة نصفها مغموس فى مياه البحر الأبيض والنصف

الأعلى يضيء الأمكنة من حوله، وسألتنى بصوتها الرخيم: ماذا جنيت من هذه الرحلة الشاقة؟ فسألتها بدورى: كيف يدوم حب بلا أدنى أمل طوال هذا العمر المرير؟

حلم ١٦٣

ميدان المستشفى بالعباسية شاهد أول لقاء لى مع الآنسة «ر»، واشتعل الحوار بين الحب واليأس حتى حسمته بقولى: الحب وحده لا يكفى. وكان اللقاء الثانى فى جزيرة الشاى، ولكنه كان مع الأرملة «ر» التى قصدتنى لخدمة تتعلق بوظيفتها، وأيقظ اللقاء العواطف الكامنة فتطرق الكلام إلى حوار بين الحب من ناحيتى واليأس من ناحيتها، حيث كانت ترعى أربعة أبناء، وحسمت الحوار بقولها: إن الحب وحده لا يكفى!

حلم ١٦٤

هذا بيت صديقتى الست «ح»، وقالت لى ابنة أختها إنها عند الدكتور، وأرادت أن تعد القهوة فأمسكت بيدها وجذبتها إلى جانبى، وأوحى لنا خلو المكان بما أوحى، وإذا بالست «ح» تفاجئنا، فتغير وجهها وقالت للفتاة: ارجعى إلى أمك فى الحال، وحدجتنى بنظرة حجرية وغادرت المكان، وأمطرت السماء فأشفقت على الفتاة وغادرت البيت مستهينًا بكل شيء، واخترقت المطر وأنا أناديها، وبعد حين سمعت صوت الست «ح» ينادينى. . وغرق ثلاثتنا تحت المطر!

حلم ١٦٥

قرأت فى المجلة مقال نقد قاس لشخصى وأعمالى بقلم الأستاذ «ع»، وإذا به يمثل أمامى معتذرا ويقول إنه يقصد بالمقال أن يكون أساس حوار بينى وبينه، يحدث ضجة تعيد الغائب إلى الوجود، فقلت له: من يصدق هذا الحوار وأنت ميت منذ ١٥ سنة؟ فقال إنه يعتمد على أن الأجيال الحديثة فاقدة الذاكرة.

فقلت له: إن المقال أحب إلى نفسى من الانفعال والخداع!

حلم ١٦٦

وجدتنى فى القطار الخاص ببلدة النور وكانت العربة خالية، فبث الخلو الرهبة فى نفسى وتحسست محفظتى وناوشتنى المخاوف، وعند أول محطة أردت النزول، فرأيت على رصيف المحطة رجالا تنطق وجوههم بالشر والعدوان، فتراجعت إلى مكانى وقد ازدادت مخاوفى، وإذا بفتاة وسيمة تصعد إلى العربة وتجلس غير بعيدة عنى، فسألتها هل تحرش بها الرجال؟ فأجابت بأنهم فى غاية التهذيب والأدب. فذهلت وساورنى شك فى أنها متآمرة معهم للإيقاع بى وذهبت إلى آخر العربة متحفزا للدفاع، ووصل القطار إلى بلدة النور فغادرته إلى أول حديقة من حدائقها التى لا تحصى، وهناك هفا علىّ نسيم معطر بروائح الورد والفل والياسمين والحناء، فتسلل إلى جفونى النعاس واستسلمت له متناسيا المحفظة والمخاوف، ونمت نوما هادئا عميقا على أنغام موسيقى تأتى من الداخل!

حلم ١٦٧

هذه شركة إنتاج وهذا مديرها يخبرنى بأن النص الذى قدمته قُبل، وأن المخرج قرأه وهو راض عنه وإليك العقد والشيك، غير أننا جعلنا النَّص قسمة: فاسمك على القصة واسم الموزع على السيناريو واسمى على الحوار، وذلك لصالح الفيلم من الناحية التجارية، وقبلت ذلك على مضض، وهنا دخل المخرج واطلع على العقد وصاح أين أنا فى هذه القسمة؟ فقال له المنتج: يمكن أن تضع اسمك على القصة مع المؤلف، فاجتاحنى غضب وقلت: أنا متنازل عن القصة كلها، ولكن المدير قال لى: إنهم يتعاملون مع الناس على أساس من مبادئ الأمانة والشرف، وعليه فلا نقبل حذف اسمك.

حلم ١٦٨

هذه حجرة مدير المستخدمين وأنا واقف أمام مكتبه وأسائله كيف تتخطانى فى الترقية والقانون معى مائة فى المائة؟ فقال لى: أقم دعوى وستكسب القضية. وذهبت إلى مدير التحقيقات وقدمت شكوى ولكنه أقر عمل الإدارة، ولكن أذهلنى أن وجهه نسخة دقيقة من وجه مدير المستخدمين، وذهبت من فورى إلى المحامى وشرحت مشكلتى، فوعدنى خيراً ودفعت مقدم الأتعاب، ولكن ذهلت أيضًا أن وجهه نسخة أيضا من وجه مدير المستخدمين ومدير التحقيقات، وذهبت إلى الطبيب ففحصنى بدقة ولكن لاحظت أن وجهه نسخة طبق الأصل من سابقيه، وفى آخر النهار رجعت إلى بيتى، وفى الطريق شعرت بجسم

بارد يوضع على رقبتى وسمعت صوتًا يقول لى من وراء : النقود أو حياتك ، فسلمته ما معى من نقود فأخذها وهرب ، ولما أفقت من اضطرابى سألت نفسى : ترى أين سمعت هذا الصوت فمؤكد أنى لا أسمعه لأول مرة فأين ومتى سمعته؟!

حلم ١٦٩

وقفت مع المدير العام الأجنبى نشاهد سير الزفة بين الزغاريد والطبول واصطحبنى إلى حجرته فى الفندق ، وهو يتساءل عن هذه الضجة التى لا شك تؤذى النزلاء من السواح ، فقلت له : إنها تقاليد الزفاف المصرى ، وهى من الموارد الثابتة للفندق ، فقال : إذن اشترط فى العقد ألا توجد ضجة ، فقلت : لا أستطيع ، فقال غاضبًا : هذا أمر وعليك تنفيذه وذهبت من فورى إلى الإدارة المركزية وعرضت الأمر على المدير فقال : إن هذا الرجل الأجنبى نفعنا كثيراً بعلمه وتجربته فعليك الاتفاق معه أو إقناعه أو تقديم استقالتك ، ورجعت وأنا أفكر وأتساءل عن مصيرى .

حلم ١٧٠

جددت البيت القديم الذى ولدت فيه ، ولما انتهى العمال ذهبت إليه وتفقدت حجراته وتذكرت ، ثم دخلت الشرفة ومن خصاص نوافذها رأيت ميدان بيت القاضى وقسم الجمالية وتوابعه ، والحنفية العمومية وأشجار دقن الباشا ، ثم سمعت ضجة فى الداخل فدخلت ، فرأيت زملاء الصبا الذين توفاهم الله يهرعون إلىّ فرحين ثم رددوا أناشيد

الصبا الوطنية، وإذا بضابط ومعه قوة من الجنود يقتحمون البيت، فساد الصمت وسأل الرجل عن الذين كانوا يغنون، فقلت ليس فى البيت سواى، ففتشوا البيت ثم قادونى إلى القسم، وهناك وجهت إلىّ التهم بالتستر على مجرمين والتحريض على قلب نظام الحكم، وقال لى المحامى فيما بعد: اطمئن فليس لديهم دليل واحد، ولكنى لم أطمئن فرحت أتساءل عن مصيرى؟!

حلم ١٧١

فى هذا البهو يستريح الزملاء، وقد جلست ألاعب مدير مكتبى الدومينو، وفاجأنا الوزير وأعلن أنه عين مدير مكتبى فى وظيفتى وأحالنى إلى المعاش، وارتاع الزملاء وفكروا فى الأمر، فاتفق الأمر بينهم أن هذا الأمر مخالف للقانون، ولكنهم انقسموا بعد ذلك فرأت فئة الاتصال بالوزير بالحسنى، ورأت الفئة الأخرى وجوب إقالة الوزير لاستهتاره بالقانون، واشتد الجدل بينهم وانحدر إلى تبادل السباب والشتائم والضرب بالأيدى والأرجل، وقلت لهم إن سلوككم هذا قد قضى على قضيتى بالفشل، فدفعونى حتى سقطت على وجهى، وكان الوزير يتابع ما يحدث ويقهقه ضاحكا!

حلم ١٧٢

ذهبت إلى الحمام العمومى لأزيل عن جسدى وروحى ما علق بهما، ودخلت فى حجرة البخار ووقفت عاريا أنتظر من يدلكنى، ولكن دخلت فتاة وسيمة، وتعرت عن مفاتنها وراحت تدلكنى برقة

ورشاقة، واستاء جميع من علم بذلك، ولكنى لم أبال وشكرت الحظ على نعمته!

حلم ١٧٣

سار معى موظفو مكتبى، فرأيت أقبح مدينة فى الوجود، واقترحوا تحسين الشوارع والميادين وإنشاء الحدائق، ولما اجتمعت بهم فى مكتبى قلت لهم: إن ما يهمنى هو ما ينفع الناس، مثل الصرف الصحى، والصحة العامة، وتوفير المدارس والمياه والكهرباء، ثم دعوة الأعيان إلى تقديم ما يقترحون من تسهيلات لاستثمار أموالهم فى البناء والتعمير!

حلم ١٧٤

قال لى صاحبى وهو يحاورنى: إن المصرى بطبيعته فلاح أو حرفى، أما التقدم فى الإدارة والسياسة والعلم والحضارة، فموقعه إلى الأجانب أو المتمصرين، فقلت: لا دخل للطبيعة فى ذلك، ولكن الأجانب والمتمصرين شاركوا فى السلطة والمال ووجدوا الفراغ للإبداع، وقد تغير الحال بمشاركة المصرى فى الثورة ضد الاحتلال الفرنسى والثورة ضد الاحتلال البريطانى، وتأييد عرابى وسعد زغلول وجمال عبد الناصر، فأصبح يشارك فى السلطة، وتجلت إبداعاته فى جميع مناحى الحياة.

حلم ١٧٥

رأيتنى مدير قسم الأملاك بوزارة الأوقاف، واكتشفت أن بعض السكان لا يدفعون الإيجار بالاتفاق مع بعض الموظفين، فصممت على استرداد المال الضائع وتحويل المسئولين إلى التحقيق، ولكنى وجدتنى معزولاً ومقدمًا للتحقيق بتهمة الإساءة إلى سمعة الوزارة، وكانت معركة.

حلم ١٧٦

رأيتنى ضابطًا مكلفًا بالقبض على الفنان «ى»، والحق أنى كنت معجبًا به، محبًا له رغم احتقارى لإدمانه المخدرات، ودعى الفنان لإحياء حفلة غنائية فذهبت إليها، ولكننى أجلت القبض عليه حتى يتم غناءه، وراح هو يجود ويكرر:

أمانة يا رايح يمه

تبوس على الحلو فى فمه

وقل له عبدك المغرم ذليل

حلم ١٧٧

أقيم سرادق كبير للاحتفال بالحزب الجديد، وظهر فى المنصة الزعيم مصطفى النحاس واستقبل بالهتاف، وألقى خطابا يشرح فيه مبادئ

الحزب، وفى مقدمتها الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، والوحدة الوطنية، ولما رجعنا إلى المكان الذى نجتمع فيه كل مساء، قلت لهم إننى لما رأيتهم يهتفون ذكرتهم بفرحتهم يوم حريق القاهرة وإقالة وزارة النحاس، فقال لى أحدهم: إن تلك الفرحة هى خطيئتهم الكبرى وأنهم كفروا عنها فى اجتماع اليوم!

حلم ١٧٨

صدر قرار بأن يتولى الوظائف الممتازة والعليا المصريون ممن ينتمون إلى أصول تركية أو مملوكية، فوجدت نفسى فى الشارع أسير على غير هدى، حتى نادانى صديقى صاحب دكان الحلوانى وعرض علىّ أن أعمل كاتب حسابات فى محله، ولكن جاءنا صوت أبيه من مجلسه بركن المحل قائلا لا تدع العواطف الشخصية تفسد عملك، فواصلت السير على غير هدى!

حلم ١٧٩

زارنى المرحوم صديقى الحميم وسألنى عن أسباب حزنى فقلت له: إن ضعف السمع والبصر حال بينى وبين مصادر الثقافة المقروءة والمسموعة والمرئية، فمضى بى إلى دار نشر يديرها أحد زملائنا فى الجامعة وسأله عن كتاب يجمع الأفكار الحديثة فى العلم والفلسفة والأدب، فجاءنا بكتاب ضخم، ثم أهدانا طبعة أخيرة من القرآن الكريم قائلا: إن التفسير الموجود به غير مسبوق فأخذناها، وفى الطريق قال لى صديقى سأزورك كل مساء وأقرأ لك سورة من القرآن الكريم وفصلاً

من الكتاب حتى نختمهما فدعوت له قائلا : يرحمك الله ويسكنك فسيح جناته!

حلم ١٨٠

رأيت أستاذى الشيخ مصطفى عبد الرازق ـ وهو شيخ الأزهر ـ وهو يهم بدخول الإدارة، فسارعت إليه ومددت له يدى بالسلام، فصحبنى معه ورأيت فى الداخل حديقة كبيرة جميلة، فقال : إنه هو الذى أمر بغرسها، نصفها ورد بلدى والنصف الآخر ورد إفرنجى، وهو يرجو أن يولد من الاثنين وردة جديدة كاملة فى شكلها، طيبة فى شذاها.

حلم ١٨١

قال صديقى وأستاذى وهو يودعنى : رحلة طيبة وإن شاء الله تعثر على هدفك، وسرت وانهالت علىّ الخواطر الجميلة التى انعكس جمالها على روحى فحنن قلوب المحسنين علىّ، فلم أشعر بحاجة إلى غذاء أو شراب أو لباس، ولكنى لم أنس مدينتى طول الوقت، وأخيراً رجعت إليها، فسألنى صديقى وأستاذى هل وجدت هدفك؟ فأجبته سأجده هنا بين الآلام والآمال، ولكن ببصيرتى الرحالة وبصبرى المقيم!

حلم ١٨٢

زارتنا «س» وهى زوجة صديق قديم، وكانت يومًا خطيبتى وقالت لى : أنت السبب فى إفلاس زوجى، فقلت لها إنه أطلعنى على فكرة

وجدتها صالحة كأساس لفيلم سينمائى، ولكنه أبى إلا أن يكتب السيناريو وينتجها بثروته المحدودة مع جهله التام بكتابة السيناريو والإنتاج، فكانت النتيجة الإفلاس، فقالت لى: كان يجب أن تنصحه، فقلت لها: نصحته كثيراً ولكنه أصر على الخطأ!

حلم ١٨٣

نحن موظفان فى مكتب الوزير ونتطلع إلى المزيد من القرب منه معتمدين على العمل، إضافة إلى أن زميلى يدس لى بما يسىء إلى سمعتى، ولكنى لم أقابل الشر بالشر إيمانا بأن القرب يقتضى النقاء، وبعد اعتماد الميزانية أصدر الوزير قرارين الأول بنقل زميلى إلى وظيفة أخرى بالوزارة، والآخر بتعيينى سكرتيراً برلمانيًا للوزير، وهو عمل يتيح لى مقابلة معاليه أكثر من مرة فى الأسبوع، فأدركت أنه عليم بما يجرى فى مكتبه!

حلم ١٨٤

قرأت مقالة الكاتبة «ك» التى تتضمن نقداً لاذعًا لى، ثم رأيتنى أسألها فى النادى: ألا تذكرين كيف وقفت إلى جانبك فى محنتك؟ فقالت: لا يمكن أن أنساها؛ إذ كنت الوحيد الذى تصدى للدفاع عنى ضد هجمات النقد الشرسة على كتابى، ولكن بعد فترة هدوء وتأمل تبين لى أن النقد كان على حق، وأنى استعملت الجنس لأغراض تجارية، ولكنك دافعت عنى لغرض فى نفسك نلته فسقطت فى نظرى، فلقننى قولها درسًا قاسيا!

حلم ١٨٥

هذه الإسكندرية واليوم وقفة العيد الصغير وأنا أتنقل من سمسار إلى سمسار فلم نعثر على حجرة خالية، فقررت يائسًا الرجوع إلى القاهرة، وفى محطة الرمل قابلت صديقى «أ» فلما علم بمشكلتى دعانى للنزول فى شقته حتى تنقضى أيام العيد، وهى شقة فى شارع سعد زغلول وتقوم على نظافتها أم زينب، فقبلت دعوته وشكرته وقلت له إننى قابلته مصادفة ولكنها أسعد مصادفة فى حياتي، وتمر الأعوام حاملة عجائبها، وعندما أخلو إلى نفسى أتذكر تلك المصادفة التى أثبتت الأيام أنها أتعس مصادفة فى حياتى!

حلم ١٨٦

أرانى أسير فى جنازة لصديق عزيز، ورأيت بين المشيعين صديقى «ب» بعد غياب سنوات فى الخارج، فسلمت عليه وهو واسع الثقافة، غير أنه غريب الأطوار ومغرم بالحداثة فى الفنون والحياة، وسألته عن حرمه التى كانت تماثله فى كل شيء، فأجابنى بأنه طلقها، وتوقفت الجنازة أمام المسجد وحُمل النعش إلى الداخل للصلاة عليه، ونودى للصلاة بين المشيعين، وإذا بصديقى يدخل مع الداخلين فلم أصدق عينى وذهلت ذهولا شديدًا!

حلم ١٨٧

عندما رأيت الآنسة «ب» خفق قلبى كما خفق عند أول حب، وتابعتها أنهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان ولا أزيد، وأرانى مع ابنة أختى وهى تسألنى حتى متى تبقى أعزب يا خالى؟! ورشحت لى الآنسة «ب» زميلتها فى المعهد العالى، فأيقنت أن وساطتها جاءت بعد اتفاق مع «ب» وأسعدنى ذلك، ولكنى شعرت بخوف لا أدرى كنهه دفعنى للهروب، فغيرت طريقى مختفيا حتى سمعت أنها خطبت إلى شاب لائق، وأرانى واقفا أمام معرض مصور أشاهد الفتاة مع زوجها فى ثوب العرس، فرجعت إلى النهل من عذوبة الحب ولوعة الحرمان، ولكن فى إطار من الأمان!

حلم ١٨٨

رأيتنى أسير مع الشيخ زكريا أحمد نحو هضبة مغطاة بخمائل الأزهار، وتقف فى مركزها أم كلثوم ووفد أهل الفن: الحامولى وعثمان والمنيلاوى وعبد الحى حلمى وسيد درويش ومحمد عبد الوهاب ومنيرة المهدية وفتحية أحمد وليلى مراد، وغنت أم كلثوم قائلة: سمعت صوتا هاتفا فى السحر. وأخذت تكرره حتى ساد القلق بيننا، ثم أخذ صوتها ينخفض رويداً رويدا حتى تلاشى، وغنت منيرة المهدية قائلة:

ليلة ما جه . . فى المنتزه

يا دوب قعدنا . . والكاس فى إيدنا

هف . . طلع النهار

وغنى سيد درويش: زورونى كل سنة مرة. . حرام الهجر بالمرة

وغنى الشيخ زكريا: يا عشرة الماضى الجميل. . ياريت تعودى

أما أنا فتلوت الفاتحة! . .

حلم ١٨٩

رأيتنى وزيرًا فى وزارة يرأسها مصطفى النحاس، وجعلت أفكر فى مشروع إنشاء مدارس أولية وابتدائية وثانوية بلا مصروفات ولا رسوم للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الفلاحين والعمال. على أن نتابعهم بالرعاية فى الجامعة والبعثات، وعرضت الموضوع على الزعيم، فرحب به، وأضاف إليه تعديلاً بأن تخصص تلك المدارس للمتفوقين والمتفوقات من أبناء الأمة كلها، وطلب منى أن أقدم المشروع فى مجلس الوزراء القادم ووعد بتأييده!

حلم ١٩٠

علمت أن صديقى «ج» معتصم بحجرته ويهدد بالانتحار، فانتقلت إلى بيته ووجدت إخوته وأخواته مجتمعين فى الصالة الكبيرة، وهو يطل عليهم من الشراعة فى حجرته العليا والحبل يطوق رقبته، فقلت له أنت مؤمن والمؤمن لا ينتحر، فقال لى: لقد سدت النوافذ فى وجهى، إذا قلت لهم تحركوا لا يتحركون، وأعلنت عن رغبتى فى أن أموت شهيدًا فمنعونى من الخروج فلم يبق لى إلا هذا، فقلت لهم دعوه وشأنه فالاستشهاد خير مليون مرة من الانتحار.

حلم ١٩١

قال لى قريبى الدكتور «م» إنه يرغب فى الزواج من «ع»، ولما كنت جارا لها وصديقًا لإخوتها فأنا خير من يحدثه عنها، وأنا أحب «ع» بدون أدنى أمل، فتماسكت وقلت له: أمّا عن جمالها فقاطعنى: دع هذا فهو فى متناول عينى وحدثنى عن الأمور الأخرى، فقلت له: إنها فى كمالها لا تقل عن جمالها، فقبلنى فى رأسى، ووجدتنى فى بهو يموج بالكثير من رموز المجتمع وفيه غناء ورقص، فسمعت وشاهدت، وتوقع قلبى الضربة القاضية.

حلم ١٩٢

هذه حديقة الحرية التى تروى أزهارها بدموع العاشقين، وأنا أتجول فى جنباتها بين آهات الحب وهتاف المناضلين، وقد عاهدت نفسى على أن ألوذ بالنسيان عن الحب والنضال!

حلم ١٩٣

هذه هضبة الأهرام وهذا هو سير ريدر هجارد، فهرعت إليه ورحبت به، وقلت له إنه كان فردوس طفولتى وصباى برواياته الفاتنة عن عائشة وكليوباترا وصلاح الدين وكنوز الملك سليمان، ثم سألته عن كنوز الملك، ألها أصل فى الواقع أم أنها من صنع الخيال وحده؟ فرأيتنى أسير إلى جانبه فى غابة إفريقية، وفى موضع منها أخرج من جيبه مفتاحًا وانحنى حتى غاب فى الحشائش، وإذا بباب ينفتح عن معرض طويل

عريض مليء بالجواهر وسقطت أشعة الشمس على سبائك الذهب فانعكست نوراً أضاء لى عالم الغيب .

حلم ١٩٤

من أمواج الضياء انبثق المرحوم صديقى «ط» فسلمت عليه ، وقلت له إنه مات فلا نُشر له نعى أو أقيم له عزاء مناسب ، وجاء العمال وأقاموا السرادق ، ولكن لم يحضر أحد للعزاء ولا جاء المقرئ ، فصعد صديقى إلى أريكة وتلا بصوت عذب سورة الرحمن .

حلم ١٩٥

أعددت المائدة الصغيرة بما لذَّ وطاب ، ولما دقَّ الجرس فتحت الباب فاندفعت صديقتى إلى الكنبة ، وما لبثت أن مَال رأسها على المسند واسترخت ذراعاها ؛ فهرعت إليها وربت خديها وجسست رسغيها ثم قلت بفزع : يا إلهى ؛ إنها ميتة . . وتخايل لعينى شبح الفضيحة والجريمة ، ولكنى حملتها بذراعى وسرت إلى المطبخ وألقيتها من النافذة المطلة على فناء المنزل ، ووقفت أرتجف من رأسى إلى قدمى ، وفى ضحى اليوم التالى وجدتنى واقفاً مع بعض السكان وصاحب البيت يحدثنا عن الست التى نقلت إلى المستشفى فقلت : إنها ميتة ، فقال : كلا ، والطبيب قال لى : إن الأمل كبير فى إنقاذها والنيابة تنتظر اللحظة المناسبة للتحقيق ؛ فعاد يتخايل لعينى شبح الفضيحة والجريمة .

حلم ١٩٦

دعانا أستاذنا للغداء، وبعد تناول الطعام جلسنا حوله نطرح الأسئلة ونناقش الأجوبة وإذا بالشرطة تقتحم المنزل وتسوقنا إلى المعتقل، حيث مكثنا ستة أشهر دون محاكمة، ثم أُفرج عنا دون أن نعلم السبب الذى اعتقلنا من أجله، وحتى اليوم وكلما تذكرت عذاب المعتقل تساءلت عن السبب الذى من أجله اعتقلنا.

حلم ١٩٧

بيوتنا تقع على حافة الصحراء، وكل بيت له فناء، نضع فيه زيرًا للمياه العذبة فيدخل العطشان يروى ظمأه ويدعو لنا. . ويومًا اندست عصابة بين الداخلين وهاجمت بيتًا فقتلت وسرقت وهربت، فأغلقنا الأبواب ولكن علمنا أنهم يحفرون نفقًا للوصول إلينا، وعند إحدى الحفريات تفجر ينبوع ماء وتدفق حتى غطى الصحراء وبشر بالخير العميم، وهتف حكيم بيننا أن افتحوا الأبواب وانعموا بحسن الجوار.

حلم ١٩٨

كلفنى المنتج السينمائى بكتابة قصة كوميدية، فتصورت مدينة يكافح أهلها فى سبيل لقمة العيش، ويشقون بما بينهم من خصومات ويعانون الأمراض والحوادث، ثم يجىء بعد ذلك زلزال مدمر فيقضى على البقية

الباقية منهم ويمحو من الوجود ذكرياتهم، فكأنهم لم يوجدوا، فضحك المنتج وقال: حقًا إنك فارس الكوميديا!

حلم ١٩٩

رأيتنى أتجول فى حديقة الحيوان مع صديقة، ثم جلسنا فى ركن خال بجزيرة الشاى، وكلما ترامى إلينا زئير أو خوار أو عواء ازددنا التصاقًا حتى ذُبنا ذوبانًا!

حلم ٢٠٠

قال لى صديقى «ص»: إن قوانين الإصلاح الزراعى أصابت والده بانهيار فى وعيه وهو يريد مقابلة وزير المالية، وأنا اخترتك لتمثل دور الوزير بوصفك أعز أصدقائى، ووجدت الإقطاعى الكبير فى حال يرثى لها واستقبلنى قائلاً: يا معالى الباشا هل حقا ستصادرون أراضينا؟ فنفيت ذلك كلية وقلت له: إن هى إلا شائعة تركناها لكسب قلوب الناس، وعندما خرجنا من السراى شكرنى صديقى وهو يجفف دموعه، فقلت له مواسيًا: إن كل تقدم فى المجتمع يقتضى ثمنًا ولا تنس أنك كنت من دعاة الاشتراكية، فقال بحدة: إن الكتابة شىء والتطبيق الفعلى شىء آخر!

حلم ٢٠١

يا له من بهو عظيم يتلألأ نورا ويتألق زخارف وألوانا! وجدتنى فيه مع إخوتى وأخواتى وأعمامى وأخوالى وأبنائهم وبناتهم، ثم جاء أصدقاء الجمالية وأصدقاء العباسية والحرافيش، وراحوا يغنون ويضحكون حتى بحت حناجرهم، ويرقصون حتى كلت أقدامهم، ويتحابون حتى ذابت قلوبهم، والآن جميعهم يرقدون فى مقابرهم مخلفين وراءهم صمتا ونذيرا بالنسيان وسبحان من له الدوام.

حلم ٢٠٢

تأبطت الجميلة الشابة ذراعى، ووقفنا أمام بياع الكتب الذى يفرش الأرض بكتبه، ورأيت كتبى التى تشغل مساحة كبيرة، وتناولت كتابا وقلبت غلافه ففوجئت بأننى لم أجد سوى ورق أبيض، فتناولت كتابا آخر، وهكذا جميع الكتب لم يبق منها شىء، واسترقت النظر إلى فتاتى فرأيتها تنظر إلىّ برثاء!

حلم ٢٠٣

رأيتنى أقرأ كتابا وإذا بسكارى رأس السنة يرمون قواريرهم الفارغة، فتطايرت شظايا، وأخذوا ينذروننى بالويل، فجريت إلى أقرب قسم شرطة، ولكنى وجدت الشرطة منهمكة فى حفظ الأمن العام، فجريت إلى فتوة الحى القديم، وقبل أن أنتهى من شكواى هب هو ورجاله

وانقضوا على الخمَّارة التى يشرب فيها المجرمون، وانهالوا عليهم بالعصى حتى استغاثوا بى!

حلم ٢٠٤

رأيتنى مديرا لشئون السينما وجاءتنى الفنانة «ف» تطلب إعفاءها من العمل مع الممثل «أ»، فانزعجت وقلت لها: إن هذا سيغير الخطة كلها، ولكنها أصرّت على موقفها، ثم جاءنى الممثل «أ» وطلب منى الضغط عليها فاعتذرت، وراحت هى تقول للوسط الفنى إننى أضغط عليها لتعمل مع الممثل «أ» صديقى على رغم إرادتى، وراح يقول إننى سهلت لها التحرر من العمل لغرض فى نفسى، فلعنت اليوم الذى توليت فيه هذا المنصب.

حلم ٢٠٥

رأيتنى أشاهد دورية من الجنود الأجانب، فضربتها بحجر وصعدت إلى السطح، وعبرت إلى سطح الجيران وهبطت السّلم لأهرب من باب البيت، فوجدته مسدودًا بجنودٍ شاهرى السّلاح.

حلم ٢٠٦

رأيتنى أعدّ المائدة، والمدعوون فى الحجرة المجاورة، تأتينى أصواتهم أصوات أمى وإخوتى وأخواتى، وفى الانتظار سرقنى النوم، ثم صحوت فاقد الصبر، فهرعت إلى الحجرة المجاورة لأدعوهم، فوجدتها

خالية تمامًا وغارقة فى الصمت، وأصابنى الفزع دقيقة، ثم استيقظت ذاكرتى، فتذكرت أنهم جميعًا رحلوا إلى جوار ربهم وأننى شيعت جنازاتهم واحدًا بعد الآخر!

حلم ٢٠٧

جلجل الهتاف بالانتخابات، فسرت النشوة فى قلب المطرب الشعبى وصاح مرشحًا نفسه، فأقبلت عليه الجماهير حتى رفعوه على الأكتاف لنجاحه، وطلبوا منه الكلمة، فوقف على المنصة وعزف بالربابة وغنى:

حلـو يا زيـن يا صـعـيـدى

اسـمـك منقـوش علـى إيدى

حلم ٢٠٨

نجح الأستاذ «ل» فى الانتخابات، فذهب إلى أسرته وقال إنه لا يشرفه الانتماء لهؤلاء القوم، وإنه ينوى الاستقالة، فقالت له سيدة: «الاستقالة معناها العداوة، وسوف ينكِّلون بك وبنا، فافرح أو تظاهر بالفرح وألقِ كلمتك». فوقف «ل» على المنصة وقال: «إن تاريخ مصر يظهر بظهوركم على المسرح، وما قبل ذلك فظلام فى ظلام».

حلم ٢٠٩

وجدتنى مع صديقى «ت» فى حجرة بالفندق، واقتحمها علينا بعض الجنود وساقونا لنقف أمام ضابط أجنبى، الذى سأل صديقى: لماذا لم يجند؟.. فأجاب: لأنه يرفض الحرب، فأمر بتجنيده وقال لى: الزم الحجرة، فقد تقتضى الظروف تجنيدك رغم شيخوختك!

حلم ٢١٠

رأيتنى ضمن المجموعة التى انتُدبت لتقوية الجسور أمام الفيضان الثائر، ونحن كُمَّال الوعى بأن أى إهمال أو تراخٍ يعنى اكتساح الفيضان لنا جاراً وراءه المجاعة والفوضى!

حلم ٢١١

هذه مدرسة فؤاد الأول الثانوية، واليوم الاحتفال بوفاء النيل، وقد ملأ الفناءَ التلاميذُ وأولياءُ الأمور، وعلى المنصة جلس الضيوف وفى مقدمتهم ملكة إنجلترا، ونحن - فرقة الأغانى - فى الناحية الأخرى.

وقام خطيب يروى حكاية النيل مع عرائس العذارى منذ القدم، وحتى آخر عروس، وهى التى ترك رحيلها لوعة فى قلبى لا تنطفئ. وبعد الخطابة غنينا تواشيح يا زمان الوصل بالأندلس.

وانفض الاجتماع، وسارت الملكة نحو الباب، ولما وضحت معالمها تبينتُ أنها الملكة فيكتوريا جاءت تحيةً للنيل!

حلم ٢١٢

الظلم تَمَادَى حتى فاحت رائحة خانقة . . فسافرتُ مع صحبة إلى حيث يُرجم الشيطان، ولما رجعت صدمتنى «الريحة» الخانقة . . وقال الزملاء إن لجنة الشر منعقدة فى حجرتها وأن مصيرنا يتقرر، فقمت من فورى إلى الحجرة، فوجدتنى وجها لوجه مع رئيسها، وحدجنى بنظرة قاسية، فاستخرجت من جيبى بعض الأحجار ورميته بها، وغادرت الغرفة . . ودَوَّى الانفجار ليصم الآذان .

حلم ٢١٣

بينما أسير فى الطريق إذ رأيت نارًا تشتعل فى بدروم مخزن الأدوية، ومع أن النيران لا تهدد بيتى تهديدًا مباشرًا إلا أننى أبلغت عنها عملاً بتعاليم إدارة المطافئ، وبعد فترة وجيزة وصلت سيارات المطافئ وحاصرت النيران ثم أخمدتها وعرفت الأسباب وحولت المسئولين إلى التحقيق .

حلم ٢١٤

أسير فى الشارع الكبير . . فأرى عن بُعد صديقى المرحوم وفى صحبته امرأة جميلة، وسارا نحو المنعطف، وخطر لى سؤال هل المرأة من دنيانا أم هى روح من العالم الآخر، وسرت إلى المنعطف لكننى لم أجدهما وبالتالى لم أعرف الجواب، ومازال السؤال يلح علىّ .

حلم ٢١٥

اليوم آخر العطلة الصيفية . . وفى صباح الغد نسافر إلى القاهرة، ولكن أسرتى فاجأتنى بإعلان عزمها على الإقامة فى الإسكندرية لمواءمة جوها لصحتهم . . فلم أصدق أذنى ولكنها عادت لتأكيد عزمها . . فقالت لى اذهب أنت من أجل أعمالك وزرنا كل نهاية أسبوع . وضاع اليوم فى جدل عقيم وثار غضبى، وفكرت فى أكثر من وسيلة للانتقام، ولكنى فى الصباح حملت حقيبتى إلى التاكسى المنتظر الذى انطلق بى إلى الطريق الصحراوى، وهنا شعرت بوحشة كما شعرت بأن وحدتى تتفاقم .

حلم ٢١٦

على موجة الأشواق فى الليلة الغراء ركبت إلى العباسية حيث وجدت نفراً من الأصدقاء فرحبوا بى جداً وجلسنا فى الحديقة التى شهدت شبابنا الضاحك ودار الحديث بغير ضابط : ماذا عن فلان؟ تعيش أنت . . وفلان؟ علمى علمك . . وفلان؟ لا ندرى عنه شيئًا منذ أن انتقلت أسرته إلى مصر الجديدة منذ نصف قرن، وذكرنا يوم قامت حركة يوليو، وأصدقاؤنا من الضباط الذين أصبحوا حكامًا فى غمضة عين، وتحدثنا عن وعن وعن إلى آخره ثم ودعتهم فى آخر الليل ومشيت نحو الميدان، وفى وسط الطريق مررت بين مسكنين متقابلين، أما الأيمن فشهد حبى الأول وأما الأيسر فشهد حبى الثانى وجاش صدرى وخفق قلبى، ولولا العجز لبشَّر ذلك بمولد رواية جديدة .

حلم ٢١٧

رأيتنى حائرًا فى ممر الحديقة حاملاً باقة ورد لأحضر عقد قران، وعند الشرفة نظرت فرأيت عين المعبودة، فتوقفت ورميت بالورد تحت الشرفة، وتطلعت إليها فقالت لى إنه تبين لها أن أحدًا لا يذكرها سواى فجاءت لتشكرنى فقلت لها: إن حضور لحظة خيرٌ عندى من ألف شكر، فابتسمت وأشارت إلى اليمين واختفت تاركة الشرفة خالية والورد تحتها مبعثرًا.

حلم ٢١٨

اكتظ الفندق بالخلق بلا نقود ولا مواد، فانحشر فى كل غرفة أكثر من أسرة، ووجدتنى فى حجرتى عاريًا مع أسرة مكونة من أم وثلاث فتيات وهن عرايا، ولما اشتد الحرج حالت الأم بينى وبين بناتها مضحية بنفسها.

حلم ٢١٩

أراد رجل الأعمال الإسرائيلى أن يمضى سهرة معنا فطلب من صديقه الخواجة أن يتوسط له، والخواجة «د» صديق صديقنا المحامى «ع»، ووافقنا إذ كانت العلاقات مع إسرائيل فى ذلك الوقت تبشر بالخير، وجاء الرجل وأخذ فى عرض سلع إسرائيلية وتابعناها فى صمت.. أما الخواجة فأثنى عليها ثناءً كبيرًا وذلك الإسرائيلى راض

وهو يقول للخواجة نحن على أية حال أقارب، ومضينا بقية الليل فى تأمل ما رأينا وما سمعنا!

حلم ٢٢٠

رأيتنى داخلا محل القاهرة لبيع الأقمشة لأشترى بدلة جديدة، وهذا محلى منذ الصبا لصداقة صاحبه بوالدى والآن تديره زوجته، فقدمت لها نفسى وترحمت على والدى وزوجها، وتساءلت: أين أيام الوفد فقد كان زوجها وأبى يقومان بالدعاية لمرشح الوفد وسألتنى ألم توحشك الانتخابات الحرة.. فقلت لها أمنيتى أن أعيش حتى أشهد انتخابات حرة مرة أخرى.

حلم ٢٢١

رأيتنى مديرًا لإحدى المؤسسات ودخل حجرتى رئيس قطاع وقدم مذكرة لطلب تعيين موظفين، ولكنى لاحظت أن المدير الحالى لن يؤشر لأن اعتمادات التعيين غير متوفرة فرددتها إليه، وإذا بالحجرة تمتلئ بمظاهرة ينذروننى بالموت إذا لم أوقع بالموافقة، وفى هذه اللحظة الحرجة دخلت قوة شرطة أفضى إليها رجل ذو ضمير بالمكيدة التى دبرها رئيس القطاع... فساقت المتظاهرين ورئيس القطاع للتحقيق.

حلم ٢٢٢

الإسكندرية . . بعد غياب طويل مع صديقى الدكتور «ص»، وطبعا دار الحديث عن السيدة «خ» وتدهورها الصحى، وقال لى إنه كان يتجنب تذكيرى بها حتى لا يسىء إلى عواطفها، ولكن فى اللقاء الأخير قبل وفاتها كلفتنى أن أحمل إليك الشكر لطول رعايتها أثناء مرضها، فعلمت أنك من الذين يصنعون الخير ويخفونه كأنه عيب من العيوب.

حلم ٢٢٣

وجدتنى أجاوز الأربعين من عمرى، ورأيت جارة على شىء من الجمال، فغازلتها واتفقنا على الزواج، ولكن الأهل لم يجدوا فيها شيئًا مناسبا، فهى فى الأربعين وفقيرة ومطلقة، وتحدث أصحابى عن سوء سلوكها فتراجعت ولكن إخوتها وأقاربها غضبوا وهاجموا شقتنا ونشروا فيها الفزع والتخريب، فاستنجدنا بالجيران ودارت معركة حامية ثم ذهبوا وهم يتوعدون تاركين وراءهم تلاً من الخرائب.

حلم ٢٢٤

رأيتنى ضابط شرطة جديدا، فى طريقه إلى القسم لأول مرة، وهناك وجدت متهمًا يحققون معه بعنف، دخلت بينه وبينهم وأنا أقول «الشرطة فى خدمة الشعب». وأخذنى الضابط إلى حجرته وقال لى: إنه حقا الشرطة فى خدمة الشعب، ولكنك ينقصك تدريب طويل.

حلم ٢٢٥

جاء دورى فى سلسلة الدراسات عن الأدب المعاصر التى يلقيها الأستاذ «ع» فى دار الوفد أسبوعيا، وقد استقبلت بحماس شديد كوفدى قديم، وألقى الرجل محاضرته وهى فى غاية الروعة، ولكن بعض الأدباء اتهموه بالتحيز لوفديته ودافع هو عن نزاهة أحكامه، وشبت معركة وأصابنى اعتداء كاد يودى بحياتى!

حلم ٢٢٦

وجدتنى ضمن أعضاء المؤتمر العام المكون من جميع الأحزاب والنقابات والهيئات والجمعيات الأهلية، ويتبارى الخطباء، وعند مناقشة القرارات يشتد الجدل والاختلاف، ويعلن عدد لا يستهان به الانسحاب من المؤتمر، وأصدرنا القرارات وصفقنا طويلا ولكن آلمنى شعور خفى بالخيبة.

حلم ٢٢٧

دعانى مديرى إلى العشاء فى مسكنه واستقبلنى هو وكريمته الصحفية، وكان الطعام عبارة عن ملعقتين من المكرونة وتفاحة قسمتها الفتاة ثلاثة أقسام متساوية، وقد ظننت عندما قدم أنه فاتح شهية، ولكن تبين أنه العشاء كله، وقالت الفتاة وهى توصلنى إلى الباب: أين تمضى سهرتك؟ فقلت لها: سأبحث عن مطعم لأتناول العشاء.

حلم ٢٢٨

هذه السيدة هى أستاذة أولادى وإضافة إلى ذلك تحاورهم فى شئون الدنيا والدين، فمالوا جميعا إلى التدين، فقلت للسيدة: إنى سعيد بتدينهم ولكنى أخشى أن ينحرفوا إلى التطرف. فقالت لى: إن التدين الصحيح أقوى سلاح ضد التطرف.

حلم ٢٢٩

أخيرًا توليت المنصب المرموق وسط زوبعة من الحسد والاعتراضات، فعاهدت الله على الجد والاستقامة مهما كلفنى ذلك من تضحيات، والواقع أنى خسرت كثيرين من الأصدقاء وذوى القربى. ولم أجد من يعذر أو يقدر، ولما انتهت مدة خدمتى وجدتنى فى جزيرة نائية تلطمها رياح الشماتة وأمواج اللعنات.

حلم ٢٣٠

دعيت الأحزاب إلى السباق، فأقام كل حزب سرادقه وركب مكبرات الصوت، وراحوا يتسابقون فى إلقاء الخطب وتحذير الناس من عملاء أمريكا وإسرائيل، واشتدت حرارة الجدل ثم تبادلت السرادقات إطلاق النار، ثم لم يعد يسمع إلا صوت الرصاص.

أحـلام عيـد الميلاد

نشرت هذه الأحلام الستة فى جريدة الأهرام

بمناسبة عيد الميلاد الرابع والتسعين للأستاذ نجيب محفوظ عام ٢٠٠٥

حلم ١

رأيتنى أستقبل شقيقتى وهى تقول لى : إنه تقرر أن يعقد قرانك فى الخميس القادم، فذهبت إلى بيت أختى فى الميعاد المضروب ودخلت بهو المدعوين فقوبلت بتصفيق حاد، وعند ذاك تذكرت أننى لا أعرف أى عروس ستزف إلىّ، وخجلت أن أسأل أختى، ونظرت إلى المدعوات فوجدتهن ممن أضاءن حياتى بنورهن، ولكن بعضهن ممن تقدمت بهن السن والبعض الآخر ممن فارقن الحياة، فقلت لا مفر من الانتظار حتى أعرف حظى.

حلم ٢

رأيتنى أتلقى نبأ مهما هو أنه تم بناء دار الأوبرا الجديدة، واصطحبت زملائى وتجولت فى أنحائها فوجدناها صورة طبق الأصل من الدار التى التهمتها النيران، فقررنا أن نعد عملا ليوم الافتتاح، فوضعنا تمثيلية وألفنا الأغانى والألحان، ولكننا اختلفنا على العنوان، واشتد الاختلاف حتى تحول إلى معركة هددت سلامة الدار الجديدة.

حلم ٣

رأيتنى راجعًا إلى بيتنا وفى حجرتى وجدت أختى فى زيارتنا، فتصافحنا وامتد بصرى إلى نافذة الحبيبة، التى لم تعد تظهر فيها منذ عام وهو تاريخ زواجها، وتقول لى أختى لدىّ خبر لعله يساعدك على السلوان، فسألتها ما هو فقالت: إن «ع» ماتت وهى تلد أول مولود لها، فاجتاحنى ذهول وخيمت ظلمات على السماء والأرض.

حلم ٤

رأيتنى رقيبا مكلفا بقراءة مسرحية الأديب «ى» وعنوانها «الموت»، ففى الفصل الأول يدور الحوار بين الموت وجيل الرواد مثل: طه حسين والعقاد، وفى الفصل الثانى يدور الحوار بين الموت وجيلى مثل: على باكثير ومحمود البدوى، أما الفصل الثالث فكان غنائيا وراقصا، فثمة ذكور وإناث فى سن السابعة يرقصون فى دائرة توسطها الموت وهو يغنى: نصيبك فى الحياة لازم يصيبك.

وأجزت عرضها للجمهور.

حلم ٥

رأيتنى فى شارع الأحباب بالعباسية ووجدت سماءها خالية من البدر، ولكن تسطع ببعض النجوم، ووجدت الهواء نقيا والماء عذبا على حين ينعم الشارع بهدوء عميق وصوت يغنى:

زورونى كل سنة مرة!

حلم ٦

دعيت إلى مقابلة المرحوم الرئيس السادات، وهناك أخبرنى بأنه قرر تعيينى محافظا للإسكندرية، فأطلعته على حالتى الصحية من ضعف البصر والسمع ويدى اليمنى المشلولة، ولكنه أصر على رأيه. . ولدى عودتى إلى مكتبى وجدت المرحوم «ش» ابن أختى، يقول لى: لا تقلق سأكون العين التى بها ترى وتقرأ والأذن التى بها تسمع واليد التى بها تكتب، ولكن لم يزايلنى القلق.

ثلاثـــة أحــلام

نشرت هذه الأحلام بمجلة ضاد

بمناسبة العدد الخاص بالأستاذ نجيب محفوظ نوفمبر ٢٠٠٦

الحلم الأول

رأيتنى فى مستشفى لإجراء بعض التحاليل، وهناك علمت أن مصطفى النحاس يرقد فى العنبر المجاور فذهبت إليه وتأثرت لمنظره وقلت له: سلامتك رفعة الباشا.

فقال: إن المرض الذى أعانيه الثمرة الحتمية لنكران الجميل.

فقلت له: عند الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الحلم الثانى

رأيتنى فى مدينة غريبة جميلة المعمار وكلما دخلت بنسيونًا أجده يتكلم لغة غريبة، حتى وصلت إلى بنسيون تديره امرأة زنجية اللون جميلة القسمات والملامح، فقلت لها: هنا يمكن أن أقول ما أريد وأن أسمع ما يقال. فقالت لى: وأيضًا الحياة هنا لا تقل فى رقيها عن أحسن البنسيونات الأخرى!

الحلم الثالث

رأيتنى سائرا فى الطريق فى الهزيع الأخير من الليل فترامى إلى سمعى صوت جميل وهو يغنى :

زورونى كل سنة مرة!

فالتفت فرأيت شخصًا ملتفًا فى ملاءة تغطيه من الرأس إلى القدمين، فنظرت إليه باستطلاع شديد، فرفع الملاءة عن نصفه الأعلى فإذا هو هيكل عظمى فتراجعت مذعورا ورجعت وأنا أتلفت والصوت الجميل يطاردنى وهو يغنى :

زورونى كل سنة مرة!

أعمال نجيب محفوظ

١ -	مصر القديمة	ترجمـــة	١٩٣٢
٢ -	همس الجنون	مجموعة قصصية	١٩٣٨
٣ -	عبث الأقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩
٤ -	رادوبيـــس	رواية تاريخية	١٩٤٣
٥ -	كفاح طيبـة	رواية تاريخية	١٩٤٤
٦ -	القاهرة الجديدة	روايـــة	١٩٤٥
٧ -	خان الخليلى	روايـــة	١٩٤٦
٨ -	زقاق المدق	روايـــة	١٩٤٧
٩ -	الســـراب	روايـــة	١٩٤٨
١٠ -	بداية ونهاية	روايـــة	١٩٤٩
١١ -	بين القصرين	روايـــة	١٩٥٦
١٢ -	قصر الشوق	روايـــة	١٩٥٧
١٣ -	الســـكرية	روايـــة	١٩٥٧
١٤ -	اللص والكلاب	روايـــة	١٩٦١
١٥ -	السمان والخريف	روايـــة	١٩٦٢
١٦ -	دنيـا اللــه	مجموعة قصصية	١٩٦٢
١٧ -	الطـــريق	روايـــة	١٩٦٤

١٨ ـ	بيت سيئ السمعة	مجموعة قصصية	١٩٦٥
١٩ ـ	الشحاذ	رواية	١٩٦٥
٢٠ ـ	ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦
٢١ ـ	ميرامار	رواية	١٩٦٧
٢٢ ـ	أولاد حارتنا	رواية	١٩٦٧
٢٣ ـ	خمارة القط الأسود	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٤ ـ	تحت المظلة	مجموعة قصصية	١٩٦٩
٢٥ ـ	حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٦ ـ	شهر العسل	مجموعة قصصية	١٩٧١
٢٧ ـ	المرايا	رواية	١٩٧٢
٢٨ ـ	الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣
٢٩ ـ	الجريمة	مجموعة قصصية	١٩٧٣
٣٠ ـ	الكرنك	رواية	١٩٧٤
٣١ ـ	حكايات حارتنا	رواية	١٩٧٥
٣٢ ـ	قلب الليل	رواية	١٩٧٥
٣٣ ـ	حضرة المحترم	رواية	١٩٧٥
٣٤ ـ	الحرافيش	رواية	١٩٧٧
٣٥ ـ	الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٦ ـ	الشيطان يعظ	مجموعة قصصية	١٩٧٩
٣٧ ـ	عصر الحب	رواية	١٩٨٠
٣٨ ـ	أفراح القبة	رواية	١٩٨١
٣٩ ـ	ليالى ألف ليلة	رواية	١٩٨٢

العنوان	النوع	السنة
٤٠ ـ رأيت فيما يرى النائم	مجموعة قصصية	١٩٨٢
٤١ ـ الباقى من الزمن ساعة	روايـــة	١٩٨٢
٤٢ ـ أمام العرش (حوار بين الحكام)	روايـــة	١٩٨٣
٤٣ ـ رحلة ابن فطومة	روايـــة	١٩٨٣
٤٤ ـ التنظيـم الســرى	مجموعة قصصية	١٩٨٤
٤٥ ـ العائش فى الحقيقة	روايـــة	١٩٨٥
٤٦ ـ يوم قتل الزعيم	روايـــة	١٩٨٥
٤٧ ـ حديث الصباح والمساء	روايـــة	١٩٨٧
٤٨ ـ صبــاح الــورد	مجموعة قصصية	١٩٨٧
٤٩ ـ قشــــتمر	روايـــة	١٩٨٨
٥٠ ـ الفجر الكاذب	مجموعة قصصية	١٩٨٨
٥١ ـ أصداء السيرة الذاتية	مجموعة قصصية	١٩٩٥
٥٢ ـ القــرار الأخيـر	مجموعة قصصية	١٩٩٦
٥٣ ـ صــدى النسـيان	مجموعة قصصية	١٩٩٩
٥٤ ـ فتــوة العطــوف	مجموعة قصصية	٢٠٠١
٥٥ ـ أحــلام فترة النقاهة	مجموعة قصصية	٢٠٠٤
٥٦ ـ المسرحيات	مــسـرحــيــات	٢٠٠٦

